تنبيه
تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

بسم الله الرحمن الرحيم

المحجة

ذ. المفضل فلواتي
المدير المؤسس

almahajjafes@gmail.com

عدد خاص

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
03 رجب 1432هـ - 6 يونيو 2011م

جامعة نصف شهرية
الثمن : 3 دراهم

العدد : 360

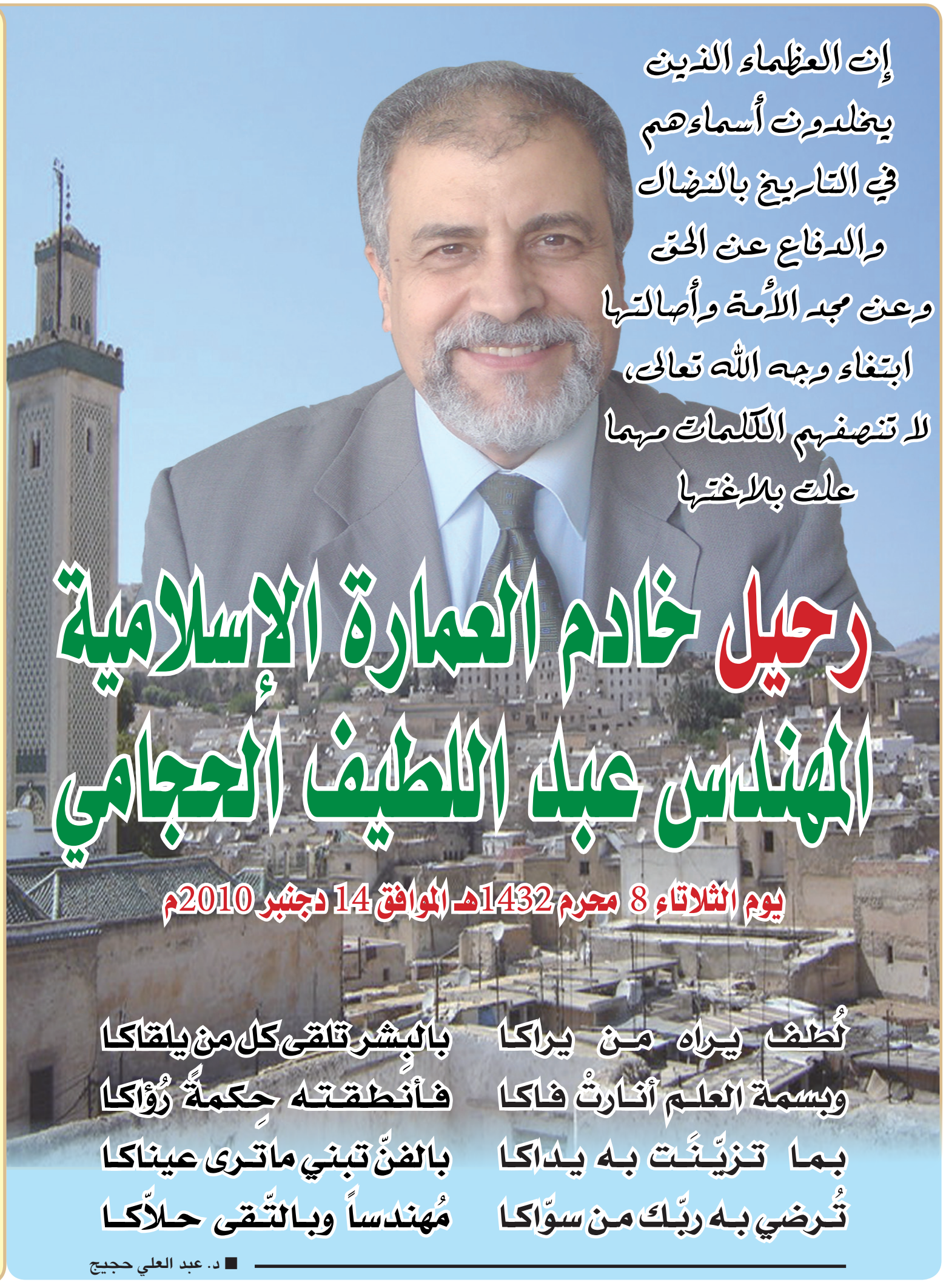

إن العظماء الذين
يخلدون أسماءهم
في التاريخ بالنضال
والدفاع عن الحق
وعن مجد الأمة وأصالتها
ابتغاء وجه الله تعالى،
لا تنصفهم الكلمات مهما
علت بلاغتها

رحيل خادم العمارة الإسلامية المهندس عبد اللطيف الحجامي

يوم الثلاثاء 8 محرم 1432هـ الموافق 14 دجنبر 2010م

لُطف يراه من يراكا ... بالبِشر تلقى كل من يلقاكا
وبسمة العلم أنارتْ فاكا ... فأنطقته حِكمةً رُؤاكا
بما تزيّنَت به يداكا ... بالفنّ تبني ماترى عيناكا
تُرضي به ربّك من سوّاكا ... مُهندساً وبالتّقى حلاّكا

■ د. عبد العلي حجيج

مشاركون في العدد

د. عائشة الحجامي
أستاذة بكلية الحقوق مراكش سابقا

د. زاهر عثمان
المدير العام السابق لمؤسسة التراث -الرياض

د. منير بوشناقي
المدير العام للمركز الدولي للمحافظة وترميم المعالم التاريخة -روما

د. ستيفانو بيانكا
مؤسسة الآغاخان -سويسرا

د. محمد عامر
الوزير المنتدب المكلف بالجالية المغربية بالخارج

د. أحمد العبادي
الأمين العام للرابطة المحمدية لعلماء المغرب

د. محمد قوام
رئيس جامعة شعيب الدكالي -الجديدة

د. إبراهيم أقديم
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس-سايس

د. العربي بوعياد
مهندس معماري

د. فؤاد السرغيني
مهندس معماري

د. حسن رضوان
رئيس قسم الهندسة المعمارية جامعة الشارقة

د. أحمد الطلحي
باحث في البيئة والتنمية والعمارة الإسلامية

ذ. محمد بن الحبيب الدكالي
مدير المشاريع والتعاون الدولي -قطر الخيرية

د. زكرياء المرابط
كلية الآداب مراكش

د. الحاج موسى عوني
كلية الآداب فاس -سايس

د. عبد الله الهلالي
كلية الآداب ظهر المهراز -فاس

د. عبد الرحيم الرحموني
كلية الآداب ظهر المهراز -فاس

ذ. عمر بدوي
إطار بوكالة إنقاذ فاس

رحل عبد اللطيف الحجامي

ذلكم المرابط في ثغر فاس الصامد

«الشاب اللطيف عبد اللطيف»
هكذا نعتَه أولَ ما رآه في باريس أستاذ لطيف
ثم جاء على قَدَرٍ إلى فاس، ليُنادَى ﴿وأنا اخْتَرْتُكَ﴾ لفاس
إذْ تُصنَع ﴿على عيني﴾ تلميذا نجيبا بفاس، ويُلْقَى بك ﴿في اليم﴾
طالبا مطلوبا بباريس من أجل فاس
ثم رجَعْنَاك ﴿إلى أمكَ كَيْ تَقَرَّ عينُها ولا تَحْزَنَ﴾، محبوبا حبيبا
يحفُّك اللطف من كل جانب أنَّى كنت في فاس

«الشاب اللطيف عبد اللطيف»
عاد مشتاقا إلى فاس،
لتُضْرَبَ له الأوتاد في فاس
فيغرق سريعا، فيسقط صريعا، في «خدمة فاس» و«عشق فاس» :
مُسْهِماً فـي تصميم بعض أحيـائها، وفـي إعداد تصميمها المديري (1978- 1980)
فمندوبا حاملا للواء إنقاذها الدولي (1980- 1990)
فمديرا عاما لوكالة تخفيض الكثافة السكانية بها ورد الاعتبار إليها (1990- 2000)

«الشاب اللطيف عبد اللطيف»
عاد ظمآن إلى فاس
فنَهَل من أبيه وعَبَّ
وتفقَّه من محيطه واسْتَوْعَب
وأضاف إلـى ما جمع مـن الغرب، مـا ليس عند الغرب، ممّا بِهِ فَقَهَ ذاتَه والغَرْب
و«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» (رواه البخاري ومسلم)
فأبصر الطريق : نداءً بعيداً من الماضي، وأنيناً عميقا من الحاضر، وأفقاً مشرقا في المستقبل
فشمَّر عن ساعد الجد، يجاهد من موقعه أنّى وُجد :
أنقذَ واستنقذ ما استطاع من فاس
وجَـلَب من المصالح ودَرَأَ من المفاسد الدولية والمحلية ما استطاع عن فاس
وألَّف من الرجال ما استطاع في «مَشْغَل التراث» ومختبر فاس
وأقام للهندسة المعمارية الإسلامية وَرْشَةً تطبيقية نادرة، وسُوقاً دولية رائعة في فاس
وصار في العالَم يذْكر ويُذكَّر بفاس، وتذْكر وتُذكّر به فاس
«الشاب اللطيف عبد اللطيف»
جاء على قَدَرٍ إلى فاس

ليكون له فيها وبها ومنها، على مدى ثلاث وعشرين سنة، أشكالٌ من الترقّي في الاحتراق والإشراق :
في فاس جددَّ معرفته بربه ونفسه والناس
وفي فاس تعلَّم حمل همِّ الأمة ومعاناة آلام الناس
وفي فاس تعاقبت عليه السراء والضراء حتى اشرأَبَّ إليه أو ازْوَرَّ عنه كثيرٌ من الناس

بفاس لقي التاريخ المجيد حَجَراً وبشراً، ما زال حيا يرزق، لمن تفكر واستنطق
وبفاس، مختبرا ميدانيا أسَّس، ونمّى، ونضّج رؤيته الفريدة للعمران والترميم ورد الاعتبار
وبفاس، تجربةَ حياة وتجربةَ بحث، تحقق فتألَّق، واحترق فأشرق

من فاس كان انطلاقه محاضرا إلى روما وهارفارد، وكامبريدج وأكسفورد
ومن فـاس كـان اختـيـاره حَكَمًـا في جـوائز المدن العـربيـة والأغاخان، ومؤسسة آل البيت، ومجمّع الإمام البخاري بسمرقند
ومن فاس كان تعيينه عضوا في عدد من الهيئات الدولية، وخبيرا في عدد من برامج الأمم المتحدة العالمية

«الشاب اللطيف عبد اللطيف»
والباحث اللطيف عبد اللطيف
والأستاذ اللطيف عبد اللطيف
والخبير اللطيف عبد اللطيف
والعالم اللطيف عبد اللطيف
والمنظِّر اللطيف عبد اللطيف
والمربي اللطيف عبد اللطيف..
كـل أولئك وأمثـالهم ممن لـم تحضـرني صورتهم كـانوا في ثوب عبد اللطيف
حاملِ الأثقال ومؤلفِ الرجال

رَحم الله تعالى بلطفه اللطيفَ عبد اللطيف
وبارِكْ في ذريته صلبا وعلْماً، فإن ربّي لما يشاء لطيف
وعـوّض الأمـة عنه فـي مختلف التخصصات أمثـالا وأمثـالا لعبد اللطيف.

أ.د. الشاهد البوشيخي

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

الحجامي سيرة ومسيرة

عبد اللطيف الحجامي سيرة مختصرة

عبد اللطيف الحجامي : مهندس معماري، ومهيئ (aménageur)، وأستاذ باحث وخبير في العمارة الإسلامية.

تخرج من المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بباريس ثم مارس فيها التدريس سنتي 1975 و1976.

بعد رجوعه إلى المغرب التحق بالقطاع العام من سنة 1978 إلى سنة 2000 حيث غادره للعمل في القطاع الخاص، إلى أن التحق بالرفيق الأعلى يوم 14 دجنبر 2010، رحمة الله عليه.

المسار المهني

● **في القطاع العام:**

– **1978– 1980 :** اشتغل في خلية إعداد التصميم المديري لمدينة فاس، وضمن خلية إنقاذ فاس التابعة آنذاك لوزارة الإسكان.

– **1980– 1990 :** مسؤول عن مندوبية إنقاذ مدينة فاس العتيقة.

– **1991– 2000 :** مدير عام لوكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، ADER-Fés

وكان مكلفا بتنسيق عمل مختلف اللجان والمهن المتدخلة في الإنتاج المعماري والعمراني لمدينة فاس من مهندسين معماريين ومدنيين وطبوغرافيين مساحين.

● **في القطاع الخاص:**

– **ابتداء من سنة 2000 :** فتح مكتبا للهندسة المعمارية في القطاع الخاص، وأسس وكالة إعادة التهيئة والتنمية، أرض، ARD Agence de Réhabilitation et de Développement .

منجزاته في القطاع العام بالمملكة المغربية

– إرساء استراتيجية إنقاذ مدينة فاس كتراث عالمي، وإطلاق مشاريع نموذجية لإصلاح المباني والمنازل المتصدعة.

– **1992– 1999 :** السهر على تطوير تصميم تهيئة مدينة فاس. ويعتبر هذا التصميم أول وثيقة قانونية ومرجعية خاصة بالمدينة القديمة لفاس، اعتمدت على تصنيف النسيج العمراني إلى عدة مناطق تختلف وتتنوع فيها الارتفاقات بحسب طبيعتها.

– إرساء آليات للعمل على مشروع إنقاذ مدينة فاس، ومن بينها النظام المعلوماتي الجغرافي الذي يجمع معلومات حول أكثر من 14 ألف بناية عتيقة بفاس، ويتعلق الأمر بمعلومات فنية وتقنية من المقاييس العمرانية إلى التفاصيل المتعلقة بالواجهات والزخارف، مما يساعد على اتخاذ القرارات المناسبة لكل حالة. كما يعتبر هذا النظام وسيلة للتدبير والتخطيط لمستقبل المدينة.

– **1991 :** رئاسة اللجنة المكلفة بتقويم وإصلاح الوضعية المعمارية لمدينة فاس.

– **1993– 1999 :** إعداد برنامج التدخل الاستعجالي بمدينة فاس العتيقة، ووضعه حيز التطبيق. فقد سهر رحمه الله على عقد شراكة بين وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس وبلدية فاس المدينة من أجل إيجاد حل لمخاطر انهيار المباني العتيقة والتي تهدد أرواح السكان وممتلكاتهم، فتم إعداد برنامج التدخل الاستعجالي ووضعه حيز التطبيق الأمر الذي ساهم في تقليص ملحوظ للكوارث داخل المدينة العتيقة، وقد كان هذا العمل مؤسسا لما يشهده هذا البرنامج حاليا من دينامية إيجابية في خدمة سلامة المواطنين وممتلكاتهم.

– **1985– 1999 :** الإشراف على ترميم العديد من المآثر التاريخية بفاس.

– **1993– 1997 ا:** لإشراف على ترميم فندق النجارين بفاس العتيقة بهبة من الوزير الأول آنذاك محمد كريم العمراني. وقد كان ترميم هذه المعلمة التي ترجع إلى القرن الثامن عشر ميلادي مناسبة لإعادة إحياء مهارات المعلمين البنائين وربطها بالأجيال الجديدة من المهندسين المعماريين والمدنيين.

– ومن بين المشاريع التي سهر عليها، تلك التي تم تمويلها من طرف الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، من مثل إصلاح وتهيئة باب المكينة، وإصلاح جزء من شبكة القنوات الأصيلة لتوزيع المياه والنافورات العمومية التي تعد من أروع ما تحتضنه مدينة فاس من بنيات تحتية منذ تأسيسها إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر.

– شارك رحمه الله إلى جانب وزارة الثقافة في ترميم دار اعديل التي تم تمويلها من طرف الحكومة الإيطالية بدعم من منظمة اليونيسكو.

– **1992 :** المساهمة إلى جانب إدارة التكوين المهني في إنشاء معهد الحرف التقليدية للبناء، بمدينة فاس. بهدف تكوين جيل جديدي من الحرفيين التقليديين يستفيد من خبرات الحرفيين الكبار الذين كان المرحوم يعدهم مدرسة أكاديمية في مجال تخصصهم، من مثل المعلم محمد الفيكيكي أمد الله في عمره، والمعلم بنمخلوف، والمعلم عبد الله، والمعلم سمنة القنواتيين رحمهم الله.

– بخصوص إشكالية الصناعة التقليدية في تفاعلها مع القضايا التنموية والبيئية، سهر عبد اللطيف رحمه الله على تمويل وإنجاز دراسات الحصيلة البيئية لمدينة فاس تمخضت عنها ضرورة إعادة هيكلة الحرف الملوثة وترحيلها خارج المدينة القديمة في عين النقبي، مع الحفاظ على الحرف الفنية غير الملوثة داخل المدينة القديمة.

– **1995– 1999 :** عين عضوا باللجنة الملكية المكلفة بإنشاء المدينة الملكية للعلوم والفن والثقافة، المغرب. كما كان عضوا بالمجلس الوطني للثقافة.

– **1985– 1995 :** وضع الإستراتيجية المندمجة لإعادة تأهيل المدن العتيقة في المغرب.

– **1978– 1981 :** منسق البرنامج الدولي لإعادة تأهيل مدينة فاس العتيقة.

– 1978 : المساهمة في وضع التصميم المعماري لحي ظهر الريشة وتهيئته على شاكلة النسيج المعماري للمدينة العتيقة بفاس.

أهم مشاريع ومنجزات المرحوم في القطاع الخاص، 2000– 2010

- الشروع في إعداد دراسة/ كتاب حول الممارسات الحضرية بمدينة مراكش العتيقة، لصالح وزارة الإسكان بالمغرب. توفي رحمه الله قبل إنهائه.

– **2007– 2008 :** إعداد الشوط الأول من تهيئة الواجهة النهرية لوادي أبي رقراق بمدينة الرباط، مشروع وكالة أبي رقراق.

– **2006– 2007 :** المساهمة في وضع الإستراتيجية الوطنية لتأهيل النسيج المعماري العتيق، ضمن فريق خبراء المجلس الوطني للتعمير والسكن، المغرب.

– **2006 :** وضع التصميم المعماري لجادة الملك عبد العزيز بمكة، وهو مشروع يتعلق بتوسعة الحرم المكي ووضع نظام النقل الخاص به، و يمتد على طول ثلاثة كيلومترات ونصف، انطلاقا من المسجد الحرام حتى خارج مدينة مكة المكرمة.

– **2005– 2007 :** مستشار في برنامج تطوير الاستراتيجية الوطنية لتأهيل النسيج المعماري العتيق، المجلس الوطني للتعمير والإسكان، المغرب.

– **2005– 2006 :** المساهمة في وضع القسم المتعلق بالنسيج المعماري الحالي بمدونة التعمير، المغرب.

– وضع التصور المعماري لتطوير وتنمية منطقة وسط مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

– **2004– 2005 :** القيام بمهمات استشارية لصالح اللجنة العليا للسياحة بالمملكة العربية السعودية، والمتعلقة بمدن الطائف، وينبع، وجدة، والدرعية وهائل، وبما له علاقة بالتراث القروي في شمال المملكة.

– **2004– 2005 :** وضع تصميم التهيئة السياحية لمدينة الدرعية

تتمة ص : 4

الحجامي سيرة ومسيرة

سيرة مختصرة (تتمة)

التاريخية بالمملكة العربية السعودية، ووضع المخطط المديري لها، والعمل على إدراج المدينة في لائحة التراث العالمي.

– **2002– 2004 :** وضع الدراسات المتعلقة بإنشاء معهد الصناعة التقليدية، ومركز الحرف بمدينة الدرعية بالمملكة العربية السعودية.

– 2003– 2004 : إعداد مشروع قانون الحرف التقليدية بالمملكة العربية السعودية.

– **2002– 2004 :** إعداد دراسة بقصد إنشاء مركز للبناء بالطين بالعربية السعودية.

– **2002– 2004 :** تحضير مشروع قانون إعادة تأهيل التراث المعماري بالمملكة العربية السعودية.

– 2002– 2003 : إعداد مجموعة من الدراسات المتعلقة بترميم الآثار وإحداث متاحف بالمملكة العربية السعودية.

– **2000– 2001 :** إنجاز مشروع إنقاذ وتنمية مدينة الدرعية التاريخية بالمملكة العربية السعودية.

– ترميم بعض القصور التاريخية التي تعود لحقبة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بمناطق خيبر، والمويه القديم، ونطع.

– إعداد برنامج تأهيل القطاع السياحي بمدينة جدة عن طريق تطوير ممرات سياحية على طول الكورنيش وإنشاء متاحف بها.

مهام دولية

عمل عبد اللطيف رحمه الله كخبير ومستشار في عدة دول منها: مصر، تونس، البيرو، اسبانيا–الأندلس، أوزبكستان– سمرقند، قطر، والمملكة العربية السعودية.

– **1994– 1999 :** مستشار في المركز الدولي لدراسة صيانة وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM بروما، ضمن برنامج "الحفاظ العمراني الترابي المندمج"
Integrated Territorial» ITUC «Urban Conservation Program

– **1993– 1995 :** عضو في اللجنة التنفيذية للمجلس العالمي للآثار والمواقع الأثرية ICOMOS، International Council on Monuments and Sites

- **1991 :** عضو في مجموعة خبراء برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD المكلفة بتقييم وصيانة الإرث الثقافي في أمريكا اللاتينية وجزر الكرايب.

– 1982– 1989 : خبير وطني في برنامج الأمم المتحدة للبيئة PNUE لصيانة وتنمية المدن التاريخية بحوض البحر الأبيض المتوسط.

– إعداد مشروع الميثاق العربي لحماية التراث المعماري الحضري والقروي.

– إعداد ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي لحماية وتنمية التراث المعماري الإسلامي.

– **1981– 1991 :** عمل عضوا في عدة لجن تحكيم لمنح جوائز دولية:

● عضو بلجنة جائزة مجمع الإمام البخاري بسمرقند التي ينظمها مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية Oxford Center For Islamic Studies الذي يشرف عليه الأمير شارل ولي عهد ابريطانيا.

● عضو بلجنة المباراة لنيل جائزة مؤسسة آل البيت لملك الأردن المرحوم حسين بن طلال.

● عضو بلجنة تحكيم جائزة المدن العربية للهندسة المعمارية، خلال ست دورات ممتدة على أثني عشر سنة.

● عضو بلجنة تعيين جائزة أغا خان للهندسة المعمارية الإسلامية.

المهام العلمية والأكاديمية

– **1975– 1976 :** أستاذ مساعد بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بباريس.

– **1981– 1997 :** أستاذ الهندسة المعمارية الإسلامية بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط. وقد أسس بها مشغل التراث Atelier du patrimoine من 1985 إلى 1998 .

وكان رحمه الله يحرص على أن يربط من خلال هذا المشغل بين الثوابت النظرية للعمارة العربية الإسلامية، وبين الواقع المعيش للمدن والمراكز التاريخية وذلك من خلال نظرة تنموية تهدف، ليس فقط إلى إنقاذ الموروث الحضاري والمحافظة عليه، بل إلى كيفية إدماجه واستثماره في الدينامية التنموية في أبعادها الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية و البيئية. كما كان مشغل التراث هذا رافدا أساسيا من روافد المعرفة التي تأسس عليها مشروع رد الاعتبار لمدينة فاس خلال مدة تناهز 15 سنة. وقد تكون في هذه المدة ما يربو على 200 مهندس معماري، وأنجزت خلالها أزيد من 40 أطروحة تنوعت مواضيعها وأبحاثها من الميادين الاجتماعية والتاريخية والاجتماعية إلى الاختصاصات العمرانية والمعمارية والفنية.

كما كان مشغل التراث مجالا للتفاعل مع مؤسسات واختصاصات أخرى كالعلوم الهندسية مع المدرسة المحمدية للمهندسين والمدرسة الحسنية للأشغال العمومية و المعهد الوطني لعلوم الأركيولوجيا والتراث وكذا المؤسسات الجامعية ككلية العلوم وكليتي الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله.

– **1980– 1981 :** رئيس مجموعة بحث بالمعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي، INSEA، بالرباط.

– **1990– 1997 :** محاضر بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، بفاس.

– **1992– 1993 :** محاضر بالمركز الدولي لدراسة صيانة وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM، بروما بإيطاليا. وأنشأ المرحوم كرسيا علميا في المركز كان يعرف ب ITUC "الحفاظ العمراني الترابي المندمج". عمل من خلاله على إشعاع "مدرسة فاس" على المستوى الدولي.

– **1994– 1995 :** ناقد في مجال الهندسة المعمارية بجامعة هارفارد،Harvard ماساشوست، بالولايات المتحدة الأمريكية.

– الإشراف على واحد وأربعين (41) بحثا جامعيا حول المعمار الحضري والقروي بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط.

– إعداد وتنسيق دراسات الجدوى المتعلقة بإنقاذ فاس بطلب من البنك الدولي، وذلك بتعاون مع جامعة هارفارد. وبعد القبول النهائي للمشروع قاد المفاوضات مع البنك الدولي من أجل منح المغرب قرضا لإنقاذ مدينة فاس، وتم التوقيع عليه سنة 1998. ويتضمن هذا المشروع عدة عناصر نذكر منها أساسا إدماج الساكنة في عملية الترميم من خلال مساعدة رد الاعتبار، وتحسين مداخل المدينة القديمة، و تهيئة ساحة أبي الجنود، وتهيئة المداخل الاستعجالية وتهيئة المسارات السياحية. وقد تم تنفيذ هذا المشروع في الفترة ما بين سنة 2000 وسنة 2005.

– منسق سبعة (7) أبحاث مشتركة بين وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس ADER-FES، وجامعة هارفارد Harvard بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك لصالح مؤسسة البنك الدولي وحكومة المملكة المغربية.

– أنجز العديد من الأبحاث والدراسات العلمية حول الهندسة والمعمار العربيين الإسلاميين، القديم منهما والمعاصر، خلال أزيد من عشرين سنة.

– عمل محاضرا بعدة جامعات من بينها:

× جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس؛

× المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM، بروما بإيطاليا، وأنشأ به كرسيا علميا كان يعرف ب ITUC "الحفاظ العمراني الترابي المندمج"؛

معهد ماساتشوستس للتقنية بمدينة كامبريدج، بولاية ماساتشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية، MIT، Massachusetts Institute of Technology؛

× كلية الهندسة المعمارية بروما، Università di"La Sapienza" Roma ؛

× المعهد الملكي للفنون بلندن بالمملكة المتحدة، Royal college of Arts-London UK

مشروع الدرعية

مشاريع كانت في طور الإنجاز عندما أقعده المرض رحمة الله عليه

– إعداد دراسة/ كتاب حول الممارسات المعمارية بمدينة مراكش القديمة، لصالح وزارة السكنى والتعمير والتنمية المجالية بالمغرب.

– **2007– 2008 :** إعداد التهيئة السياحية لمدينة جدة العتيقة بالمملكة العربية السعودية.

– **2007 :** تهيئة خمسة متاحف بمدينة جدة.

– **2007 :** تهيئة متحف مفتوح على طول كيلومترين على ساحل (كورنيش) مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.

– ترميم وإصلاح ست مساجد تاريخية بمنطقة الهفوف شرق المملكة العربية لسعودية، منها مسجد الحيري، و جواثي، ومسجد الحسن.

عبد اللطيف الحجامي... مسار حياة

دة. عائشة الحجامي

النشأة والتكوين

ولد عبد اللطيف الحجامي رحمه الله تعالى سنة 1954 بمدينة فاس، وترعرع في أسرة علم وتصوف وجهاد.

فأبوه سيدي أحمد بن محمد بن أحمد الحجامي الحسني الإدريسي المتوفى سنة 2003 كان من كبار علماء القرويين، ومن المشهود لهم بالورع والتقوى.

أما جده سيدي محمد فكان من شيوخ الطريقة الناصرية، كما كان قائدا للجهاد ضد المستعمر الفرنسي. إذ بمجرد علمه بتوقيع معاهدة الحماية وهو مقيم بزاوية أجداده بالجاية بنواحي فاس، نادى بالجهاد في القبائل فالتف حوله ما يناهز العشرين ألفا من المجاهدين من مختلف هذه القبائل حسب ما أورده المارشال ليوطي في مذكراته (ليوطي الإفريقي)، وشارل أندري جوليان في كتابه (المغرب في مواجهة الإمبرياليات)، والمرحوم علال الفاسي في كتابه حول الحركات التحررية بالمغرب العربي، وغيرهم. فهجم على مدينة فاس بقصد تحريرها من الاستعمار، واستطاع المجاهدون أن يسيطروا على معظم أحياء المدينة بعد معارك طاحنة دامت طيلة الأسبوع الأخير من شهر ماي من سنة 1912. غير أن الجيش الفرنسي تلقى إمدادات عسكرية من مكناس والدار البيضاء مكنته بقيادة الجنرال كورو من الانتصار في تلك المعارك التي سميت في الأدبيات العسكرية الفرنسية بأيام فاس الدامية. وظل المجاهد الحجامي يحارب الفرنسيين في مختلف مناطق شمال المغرب إلى أن ألقي عليه القبض في منطقة كتامة سنة 1930 ووضع تحت الإقامة الإجبارية بقرية حمدان، وبها توفي ودفن سنة 1944.

وقد التحق سيدي أحمد والد عبد اللطيف بالجهاد مع أبيه منذ سنة 1914 وكان سنه لا يتجاوز الرابعة عشر، فكان يجمع بين الدراسة والجهاد حيثما انتقلت أسرته فالجد كان دائم الترحال، يتنقل حيثما يمكنه الجهاد، و كان دائما جوابه على من يستشيره من القبائل في السلم أو القتال (إن أردتم الجهاد فأنا أول من يجاهد، وإن أردتم الصلح فأنا أول من يهاجر). ولم يلتحق ابنه أحمد بالقرويين إلا بعد إلقاء القبض عليه وعلى والده ومحاصرته في حمدان حصارا شديدا لكي لا يعود إلى حمل السلاح. فتفرغ للعلم والتحصيل ثم للتدريس بعد ذلك في مختلف المراكز العلمية بناحية فاس. وبعد وفاة والده ولي أمر الزاوية التي كان مقرها بقرية حمدان قائما على شؤونها بالوعظ والإرشاد، والذكر والعبادة، وإصلاح ذات البين بين الناس وتفقد أمورهم حتى بعد أن استقر بمدينة فاس.

وينحدر المرحوم عبد اللطيف من جهة أمه للا خدوج الهبطية الإدريسية من سلالة العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد الهبطي واضع ما يعرف بـ(متن الوقف الهبطي) الذي أصبح العنوان البارز للمصحف المغربي والمدرسة القرآنية بالمغرب. وقد توفي بفاس سنة ثلاثين وتسعمائة هجرية، ودفن بروضة الزهيري بالطالعة بفاس.

كان منزل الأسرة بحي الكدان من عدوة الأندلس بفاس مقصد العلماء وأصحاب الفكر، تقام فيه حلقات العلم والمذاكرة باستمرار، كما يؤمه "فقراء الزاوية" ومريدوها يحيون الليالي بالذكر والتهجد ويتذاكرون مع صاحب المنزل سيدي أحمد في أمورهم الدينية والدنيوية، فنشأ عبد اللطيف متأثرا بهذه الأجواء العلمية والروحانية متشبعا بحب العلم والمعرفة. كما كان يصحب العائلة إلى قرية حمدان حيث يوجد ضريح جده الشيخ سيدي محمد الحجامي، وذلك لحضور موسم المولد النبوي الشريف الذي يحييه والده، فيشهد مجالس الذكر ويشارك في تأطير الوافدين وخدمتهم، وأحيانا كان ينوب عن والده في إلقاء الخطبة في الجموع الغفيرة التي كانت تقصد الزاوية. وقد كلفه والده قبل وفاته بالسهر على أمور الزاوية من بعده، فكان خير منفذ لهذه الوصية، حيث استمر في إحياء المولد النبوي وفي رعاية الوافدين عليه والاهتمام بأحوالهم وقضاء حاجياتهم ومساعدتهم سواء خلال الموسم أو خارجه، بحيث ظل منزله محج مريدي الزاوية في كل وقت إلى أن توفي رحمة الله عليه.

تلقى المرحوم عبد اللطيف تعليمه الابتدائي بمدرسة الصفاح وتعليمه الإعدادي بثانوية مولاي رشيد بحي سيدي بوجيدة، ثم انتقل بعدها إلى ثانوية مولاي إدريس لمتابعة دراسته في شعبة الرياضيات حيث حصل على شهادة الباكالوريا في يونيو من سنة 1969.

وقد كان لإخوته الكبار عظيم الأثر في تكوينه وصقل مواهبه بتوجيهاتهم ونصائحهم خاصة منهم المرحوم سيدي عبد الله خريج جامع القرويين في العلوم الشرعية وجامعة باريز في العلوم السياسية والاجتماعية، والذي كان يبث في إخوته عن طريق النموذج قيم الأخلاق النبيلة وحب المعرفة. فكان عبد اللطيف -وهو بعد تلميذ- شغوفا بالقراءة يرتاد خلال أيام العطل المدرسية بانتظام المركز الثقافي المصري بالبطحاء أو المركز الثقافي الفرنسي بحي الزربطانة رفقة أختين له تقربانه سنا، في جو من التنافس البريء على القراءة والاطلاع.

انتقل المرحوم بعد حصوله على شهادة الباكلوريا إلى فرنسا لمتابعة دراسته العليا بالمدرسة الخاصة للهندسة المعمارية بجادة غاسباي بباريس Ecole spéciale d'Architecture فكان من أبرز طلبتها وأنجبهم. نال إعجاب أساتذته وظفر بثقتهم وصداقتهم نظرا لأفكاره النيرة والجريئة التي كان يستقيها من قراءاته المتنوعة ومن أسفاره المتعددة لمختلف أنحاء أوروبا للاطلاع على أشكال العمران بها وإنجاز تقارير عنها يدمجها في تصوراته عن الهندسة المعمارية في مقارنة بالمعمار الإسلامي الذي نشأ في أحضانه. وقد شكلت العمارة الإسلامية محور بحثه الذي نال به شهادة التخرج من المدرسة الخاصة للهندسة المعمارية. كما أنه اختير للتدريس بنفس المدرسة خلال سنتين دراسيتين من 1975 إلى 1976.

ولم يفت عبد اللطيف أن يستثمر وجوده بباريس من أجل النهل من مختلف العلوم المتاحة، فلم يكن ليكتفي بدراسة الهندسة المعمارية، خاصة وأن نظرته لهذا العلم لم تكن تنحصر في البناء المعماري المادي بل كانت تتعداه إلى محور العمران البشري الذي هو الإنسان بكل أبعاده ومتطلباته المادية والروحية. فدرس العلوم الاجتماعية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بجادة غاسباي Ecole pratique des Hautes Etudes والعلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بشارع أساس Assas ، والعلوم الرياضية بكلية العلوم بجوسيو Jussieu كما كان يواظب على حضور

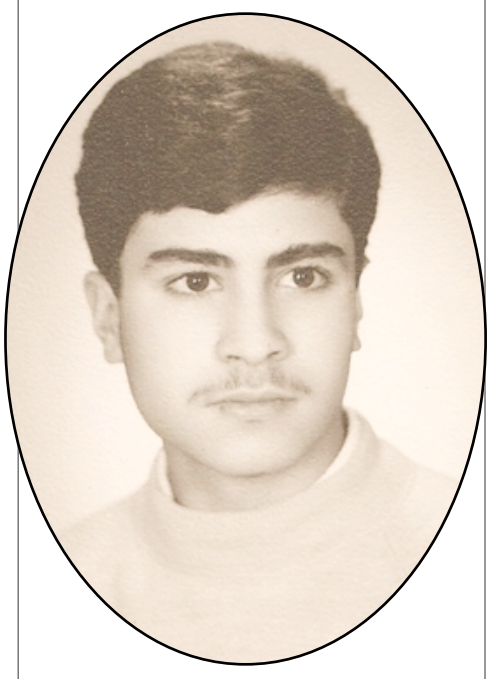

الحلقات الدراسية التي كان يلقيها كبار المفكرين في المعهد الفرنسي الشهير Collège de France من أمثال رولان بارت Rolland Barthes وجاك لاكان Jacques Lacan وميشل فوكو Michel Foucault وجاك بيرك Jacques Berque.

كان عبد اللطيف جريئا في طلب العلم، ذا عزيمة قوية في اكتسابه، ذكيا في منهجه، بحيث أنه عندما يجذب اهتمامه ميدان معرفي معين يسعى إلى امتلاك أسراره من مصادره الأصلية بقراءة أمهات الكتب الصادرة حوله، ثم السعي إلى لقاء رواد ذلك العلم المعاصرين له للاستزادة من معارفه في الموضوع ، واستجلاء ما أشكل عليه أو مناقشة ما لم يستسغه من أفكار. وكثيرا ما كان يرى في أروقة المكتبة الوطنية وهو يتجاذب أطراف الحديث مع مفكرين كبار وهو ما يزال طالبا صغير السن، مستعينا في ذلك بما حباه الله به من ذكاء خارق، ومن قدرة كبيرة على التواصل.

رجع المرحوم عبد اللطيف إلى المغرب سنة 1978 راغبا عن كل مغريات الحياة بفرنسا، وذلك لقناعته بواجب خدمة وطنه أولا وأخيرا. وقد عرض عليه منصب مهم بالرباط فرفضه مفضلا الاستقرار بمدينة فاس حيث يمكنه صحبة والده سيدي أحمد للقيام بأموره والاستفادة من علومه. فكانت إقامته بفاس مفتاح خير عليه وعلى المدينة التي أفنى عمره في خدمتها ورعايتها بكل ما أوتي من معرفة وعزيمة.

كما أتاحت له رفقة والده فرصة التعمق في العلوم الشرعية والتربية الروحية، فكان يقضي كل أوقات فراغه معه، وإن لم يجد فراغا في واضحة النهار، فإنه كان يقتطعه من أوقات نومه وراحته، فيقوم الليل مع أبيه ويرافقه إلى المسجد كل فجر، وبعد عودتهما إلى المنزل يتلقى منه دروسا في العلوم الشرعية إلى طلوع الشمس. ولا يزال سكان حي بورمانة يستحضرون مشهد ذلك الشاب الوسيم الذي يمسك بذراع والده الشيخ الضرير برفق ويسير معه بتؤدة قاصدين مسجد الحي في الصلوات الخمس، وخاصة صلاة الفجر. فيؤم الشيخ الصلاة بالمصلين ويمضي وقتا وافرا معهم، إذ كثيرا ما كانوا يستوقفونه طويلا بعد الصلاة للسلام عليه أو لاستفتائه في أمر من أمورهم، وعبد اللطيف ينتظر والده مبتسما مصغيا له حتى يفرغ من ذلك دون أن يستعجله أو يبدو عليه أي ضجر رغم كثرة أشغاله والتزاماته. كما كان يحضر - كلما سنحت له الفرصة- مع والده مجالس المدارسة العلمية مع العلماء التي كانت تعقد في منزل العائلة أو في منزل أحد العلماء من أصدقاء أبيه، نذكر منهم على الخصوص الفقيه العلامة سيدي عبد الرحمن الغريسي والفقيه العلامة الطاهري رحمهما الله.

كان عبد اللطيف يطيع والده طاعة تامة صادقة، لم يجادله أبدا في أمر صدر عنه ولو بدا له غير ذلك، منطلقا في ذلك من قناعته بفريضة طاعة الوالدين أولا، وبثقته الكبيرة في صواب آراء والده وحكمته ثانيا. فكان تصرفه مع والده تصرف المريد مع الشيخ، فنال من صحبته تكوينا علميا وروحيا كان له خير معين على شق طريقه في الحياة العملية والمهنية، ومواجهة العقبات التي كثيراً ما اعترضت سبيله وأحاقت به، فلم تزده إلا قوة وعزيمة وإصرارا على تحقيق أهدافه النبيلة في خدمة الصالح العام، مضحيا في سبيل ذلك بحياته الخاصة وبراحته، لا يحدوه في ذلك سوى رضا الله وطاعته. فخرج من كل الشدائد سالما غانما بفضل الله تعالى ورحمته، نرجو الله أن يحتسب له ذلك في آخرته.

فاس... مشروع العمر

كانت بداية المسار المهني لعبد اللطيف بفاس عندما التحق بالفريق المشتغل على إعداد التصميم المديري لمدينة فاس، ثم عمل ضمن خلية إنقاذ فاس التابعة آنذاك لوزارة الإسكان. وأذكر أن أول مواجهة فكرية له كانت مع فريق الخبراء الفرنسيين الذين اقترحوا (تهوية المدينة العتيقة) عن طريق شق الطرق السيارة داخلها دون أي اعتبار للنسيج

تتمة ص: 6

الحجامي سيرة ومسيرة

مسار حياة (تتمة)

المعماري للمدينة ونسقها العمراني وبناياتها الأثرية. فكانت له معهم جولات من النقاش الحاد حول هذا المقترح رافضاً نقل التجربة السيئة لمدينة باريز التي أدت مخططات هوسمان المعمارية بها إلى محو معظم معالمها التاريخية، ومصراً على مراعاة الخصوصيات الثقافية للمعمار الإسلامي والحفاظ عليه.

وقد واتته الفرصة للعمل على ترجمة أفكاره حول هذا المعمار على أرض الواقع عندما أنشئت مندوبية إنقاذ مدينة فاس وعين مسؤولا عنها، ثم بعد ذلك عندما أسست وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس ADER-FES وأصبح مديرا عاما لها. فقد انكب منذ البداية على بلورة المشروع الحضاري المتكامل لمدينة فاس، وعلى التأسيس العملي له مستعينا في ذلك بالإرادة السياسية لصاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني الذي جعل من أولوياته تأهيل مدينة فاس العتيقة وصيانة معالمها الأثرية، فكانت الرسالة الملكية الداعية إلى إنقاذ مدينة فاس، والتي أعقبها النداء العالمي للمدير العام لمنظمة اليونسكو السيد مختار امبو سنة 1980 الذي أطلقه من فاس للدعوة إلى تصنيف المدينة تراثا عالميا، فتم ذلك في شهر أكتوبر من سنة 1981. وأصبحت فاس منذ ذلك الحين محط اهتمام وعناية المحافل الدولية المهتمة بالتراث المعماري والثقافي.

وضع المرحوم عبد اللطيف خدمة مدينة فاس نصب عينيه وكرس حياته لها، فهي عدا كونها مسقط رأسه ومدينة أسلافه، تمثل بالنسبة إليه تجسيدا لمعاني التمدن الإسلامي الذي يقوم على تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورياتها الدنيوية والأخروية. هذه المقاصد التي متحت منها الحضارة الإسلامية مقوماتها التي أغنت العالم طيلة قرون.

لم يكن عبد اللطيف ينظر إلى فاس كبنيان مادي فقط، بل كان يستحضر الغاية من هذا البنيان والمتمثلة بالنسبة إليه في بناء الذات وتحصينها.

وانطلاقا من هذه النظرة الشمولية وضع أسس مشروع متكامل لإنقاذ مدينة فاس العتيقة، فرسم استراتيجية وطنية لتأهيل النسيج المعماري العتيق رفقة خبراء آخرين، وسهر على وضع نظام معلوماتي جغرافي يتضمن كل المعلومات التقنية والفنية المتعلقة بالبنايات العتيقة، وأنشأ معهدا للحرف التقليدية معيدا بذلك الاعتبار لخبرات ومهارات مهنيي هذا القطاع الذين كان يعتبرهم مصدر معرفة توازي المعرفة الأكاديمية أو تفوقها. كما طعم مشروعه بتكوين نخبة من المهندسين الشباب المتشبعين بأفكاره ونظرياته حول التراث المعماري الإسلامي.

حاضر رحمه الله للتعريف بهذا المشروع والمنافحة عنه في مختلف الجامعات والمحافل، الوطنية منها والدولية. فحاضر ودرس في جامعات هارفارد وكامبريدج وأكسفورد وروما وغيرها. وكان عضوا في العديد من الهيئات المتخصصة وطنيا ودوليا؛ فقد كان عضوا في المجلس الوطني للثقافة، وفي اللجنة الملكية المكلفة ببلورة مشروع المدينة الملكية للعلم والفن والثقافة، ومستشارا في التنمية والاستراتيجية الوطنية بالمعهد الوطني للتعمير والسكنى بالمغرب. كما كان عضوا في المجلس التنفيذي للمجلس العالمي للآثار والمواقع الأثرية ICOMOS. وعمل خبيرا ضمن فريق خبراء برنامج الأمم المتحدة للتنمية PNUD المكلف بتقييم وصيانة الإرث الثقافي في أمريكا اللاتينية وجزر الكرايب، وخبيرا وطنيا في برنامج الأمم المتحدة للبيئة PNUE لصيانة وتنمية المدن التاريخية بحوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك من سنة 1982 إلى سنة 1989، وخبيرا في المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM بين سنتي 1994 و1999. وقد أنشأ بنفس المركز كرسيا علميا تحت اسم "الحفاظ العمراني الترابي المندمج" ITUC.

وشارك رحمه الله في لجن تحكيمية لعدد من الجوائز الدولية، كممثل لجنة جائزة المدن العربية، ولجنة جائزة أغا خان للعمارة الإسلامية، ولجنة مؤسسة آل البيت لملك الأردن المرحوم حسين بن طلال، وجائزة مجمع الإمام البخاري بسمرقند التي ينظمها مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية Oxford Center For Islamic Stadies الذي يشرف عليه الأمير شارل. وكان المرحوم قد سبق وألقى محاضرة حول فاس حضرها الأمير شارل فأعجب بالمشروع وقرر زيارة فاس. وعند قدومه إليها طلب أن يرافقه عبد اللطيف لزيارة معالمها الأثرية، وكان يستمع لشروحاته باهتمام بالغ جعله يتجاوز الوقت الذي خصصه البروتوكول للزيارة. وقد حكى لي المرحوم أن الأمير شارل كان يطلب منه أن يأخذ الوقت الكافي للزيارة والشروحات وأن لا يعير اهتماما للتوقيت المحدد رسميا!

وضع أسس مشروع متكامل لإنقاذ مدينة فاس العتيقة، فرسم استراتيجية وطنية لتأهيل النسيج المعماري العتيق رفقة خبراء آخرين، وسهر على وضع نظام معلوماتي جغرافي يتضمن كل المعلومات التقنية والفنية المتعلقة بالبنايات العتيقة، وأنشأ معهدا للحرف التقليدية معيدا بذلك الاعتبار لخبرات ومهارات مهنيي هذا القطاع الذين كان يعتبرهم مصدر معرفة توازي المعرفة الأكاديمية أو تفوقها. كما طعم مشروعه بتكوين نخبة من المهندسين الشباب المتشبعين بأفكاره ونظرياته حول التراث المعماري الإسلامي

ولقد ساهمت كل هذه الأنشطة في اكتساب تجربة إنقاذ مدينة فاس صيتا وإشعاعا عالميين، وأصبحت نموذجا لكل مشاريع ترميم التراث والحفاظ عليه، يعترف لها بالسبق والريادة على المستوى الدولي، وتدرس في أعرق الجامعات في العالم.

وقد وصفها الخبير المعماري يوكي ليطو Jokilehto Jukka نائب مدير (المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM) بروما ب(قصة نجاح a success story).

خاض عبد اللطيف غمار مشروع إنقاذ مدينة فاس العتيقة الذي آمن به ورصد له حياته، بكل صدق وإخلاص وعزيمة وتفان. فكان يجند له كل طاقاته وقدراته المادية والمعنوية. يستغرق العمل الدؤوب والمتواصل معظم أوقاته، فيكتفي من النوم بسويعات قليلة، وقد يوصل الليل بالنهار أحيانا. وأكاد أجزم بأنه لم يعرف طعم الراحة إلا نادرا مذ دخل هذا الميدان، ولا أذكر أنه تمتع بعطلة كاملة مع أسرته طيلة ما يربو على العشرين سنة التي اشتغل فيها على مشروع إنقاذ مدينة فاس.

كان يزاوج بين عمله على رأس وكالة التخفيض من الكثافة، ومهامه كأستاذ في المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط، ومشاركته في الندوات والمؤتمرات واللجان الدولية دون أن يظهر عليه القرف من ثقل المسؤولية أو التذمر من ضغط العمل، بل كان دوما متماسكا صامدا، بشوشا مبتسما بوجهه الصبوح، لا تفارقه أبدا روح الدعابة التي كان يملك أسرارها، والتي كانت تشع جو المرح من حوله، وتبعث الأمل وترفع المعنويات في أشد المواقف حلكة. فكان يستطيع بما حباه الله من قوة العزيمة والصبر على الشدائد، والقدرة على الإقناع أن ينقل ذلك النفس للمحيطين به من طلبة وعاملين معه في المشروع، فيجعلهم ينخرطون فيه بنفس الحماس والإخلاص.

لم يكن يعرف الكلل أو الملل ، كما لم يركن أبدا لليأس أو الاستسلام أمام العقبات والمعضلات كيفما كان نوعها أو مصدرها، بل كان يواجهها دوما بروح عالية واطمئنان داخلي يجعلانه يمضي قدما في مشروعه، مضاعفا مجهوداته ومتوكلا على الله وحده ثم على رضا الوالدين كما كان يكرر دائما. فقد كان لديه اعتقاد جازم بأن ما يقوم به من عمل لخدمة العمران الإسلامي، ولتكوين طلبته، يدخل في باب العبادة الواجبة عليه شرعا، يتحمل مسؤوليتها أمام الحق سبحانه وتعالى مباشرة.

ومن بين المنجزات الميدانية التي سهر رحمه الله عليها، ترميم فندق النجارين بتمويل من الوزير الأول آنذاك كريم العمراني. وقد شكل هذا الإنجاز الذي استعملت فيه تقنيات حديثة إلى جانب مهارات المعلمين البنائين التقليديين نموذجا رائدا في مجال ترميم وتأهيل المعمار الإسلامي. كما سهر على إصلاح وتهيئة باب المكينة بتمويل من الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وعلى إصلاح جزء من شبكة القنوات العتيقة لتوزيع المياه والنافورات العمومية، والتي تعد بحق مفخرة التقنيات الإسلامية في المجال المائي، ومن أروع ما تحتضنه مدينة فاس من بنيات تحتية ظلت صامدة منذ تأسيس المدينة إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر. كما شارك المرحوم إلى جانب وزارة الثقافة في ترميم دار عديل بتمويل من طرف الحكومة الإيطالية وبدعم من اليونسكو.

وفي إطار انشغاله بقضايا التنمية والحفاظ على البيئة، سهر رحمه الله على تمويل وإنجاز دراسات الحصيلة البيئية لمدينة فاس، كان من استنتاجاتها ضرورة إعادة هيكلة الحرف الملوثة وترحيلها إلى خارج المدينة العتيقة في منطقة عين النقبي. أما الحرف الفنية غير الملوثة فيحتفظ بها داخل المدينة.

وكان عبد اللطيف لا يهمل فرصة تتاح له في المحافل الدولية للتعريف بالمجهودات المبذولة في المحافظة على الإرث التاريخي لمدينة فاس وصيانته وتحسين ظروف عيش ساكنتها، فيستعمل كل ما أوتي من وسائل الإقناع لجلب اهتمام المنظمات الدولية المتخصصة، والمؤسسات المالية من مثل البنك الدولي، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، والصندوق الإفريقي للتنمية. وقد بذل مجهودا كبيرا خلال المؤتمر الثاني للمدن المصنفة تراثا عالميا الذي انعقد بفاس سنة 1993 لإثارة الانتباه حول هذه الإشكاليات، وكان من نتائج ذلك اقتناع رئيس البنك الدولي جيمس ولفونسون James Wolfonson الذي زار فاسا سنة 1996، بضرورة إسهام البنك الدولي في مشاريع فاس المتعلقة أساسا بإدماج الساكنة في عمليات الترميم ومساعدتهم في ذلك، وتحسين مداخل المدينة العتيقة بتهيئة ساحة أبي الجنود ، وبعض المداخل

تتمة ص: 7

الحجامي سيرة ومسيرة

مسار حياة (تتمة)

الاستعجالية. وقد سهر عبد اللطيف على إعداد دراسات الجدوى بتعاون مع جامعة هارفارد. وبعد قبول المشروع، قاد المفاوضات مع البنك الدولي حوله إلى أن تم التوقيع عليه سنة 1998. وقد تم تنفيذ المشروع بنجاح في الفترة ما بين 2000 و 2005.

واهتماما من عبد اللطيف بالجانب البشري للعمران، وتحقيقا للمقصد الشرعي في ضرورة حفظ النفس وحفظ المال، سعى إلى بلورة برنامج يهدف إلى المحافظة على سلامة أرواح وممتلكات ساكنة فاس من خطر انهيار البنايات العتيقة بفعل الزمن والكوارث الطبيعية، فسهر منذ سنة 1993 على عقد شراكة بين وكالة التخفيض من الكثافة و المجلس البلدي لمدينة فاس بهدف تفادي الانهيارات، وتنظيم التدخل السريع والفعال لفرق الإنقاذ المتمرنة على مدار النهار والليل في الحالات الاستعجالية. وكان من ثمرات هذا البرنامج تقليص ملحوظ للكوارث وآثارها داخل المدينة العتيقة. ولا يزال هذا البرنامج لحد الآن يعرف دينامية ملحوظة في خدمة سلامة الساكنة وممتلكاتها.

وأتذكر أن عبد اللطيف لما وصل إلى علمه انهيار مسجد ابنة بكار في مدينة مكناس في السنة الماضية، والذي ذهب ضحيته ما ينيف عن الأربعين مصل، وكان رحمه الله يصارع المرض، تألم كثيرا. وقد ذكر لي بأن لديه خطة ناجعة لتفادي هذه الانهيارات في المستقبل، وأنه يسعى إلى تبليغ هذا الأمر إلى مراكز القرار مباشرة، ويتمنى أن تؤخذ مبادرته بما تستحقه من اهتمام، وأنه مستعد للإشراف على تنفيذها شخصيا ومجانا. غير أنه رحمه الله نقل أياما قلائل بعد ذلك إلى إسبانيا للعلاج وتدهورت حالته الصحية، فلم يخطر ببالي بعدها أن أسأله بخصوص تلك المبادرة إلى أن توفاه الله، كما ليس لدي علم حول ما إذا كان قد تكلم في هذا الشأن مع بعض المهندسين من طلبته وأصدقائه الذين كانوا يعودونه باستمرار. لقد كان رحمه الله حاملا لهم الوطن حتى خلال اللحظات الحرجة من مرضه.

المرحلة السعودية

لما حانت ساعة الرحيل من وكالة التخفيض وإنقاذ مدينة فاس، غادرها عبد اللطيف مطمئنا إلى كونه قد غرس البذرة وأينعت، وأضحت في يد أمينة ستسهر على رعايتها وحفظها.

وقد وردت عليه منذ الشهر الأول لمغادرته الوكالة، عروض عمل متعددة في مناصب جد مغرية، كان من بينها عرض من قبل مؤسسة البنك الدولي بواشنطن للعمل كمستشار لرئيسه في المجال العمراني، وآخر من المملكة العربية السعودية للاشتغال على التراث الإسلامي بها. فكانت الاستشارة مع الوالد رحمه الله والاستنارة بهديه بعد هدي الله واستخارته. وهكذا كان دائما ديدنه رحمه الله في كل قراراته. فأشار عليه الوالد بما وافق هواه وصادف مبتغاه، ألا وهو الاستمرار في الرسالة، رسالة حفظ العمران الإسلامي وتأهيله. وقد ساهم في ترجيح هذا الخيار عامل أساس يتمثل في الرغبة في القرب من الحرمين المقدسين والجوار مع الحبيب المصطفى. فكان خلال إقامته بالسعودية يكثر من العمرة كلما سنح له العمل. وعندما اشتغل في جدة كان كثيرا ما يتوقف عن العمل مع فريقه ليمضوا إلى

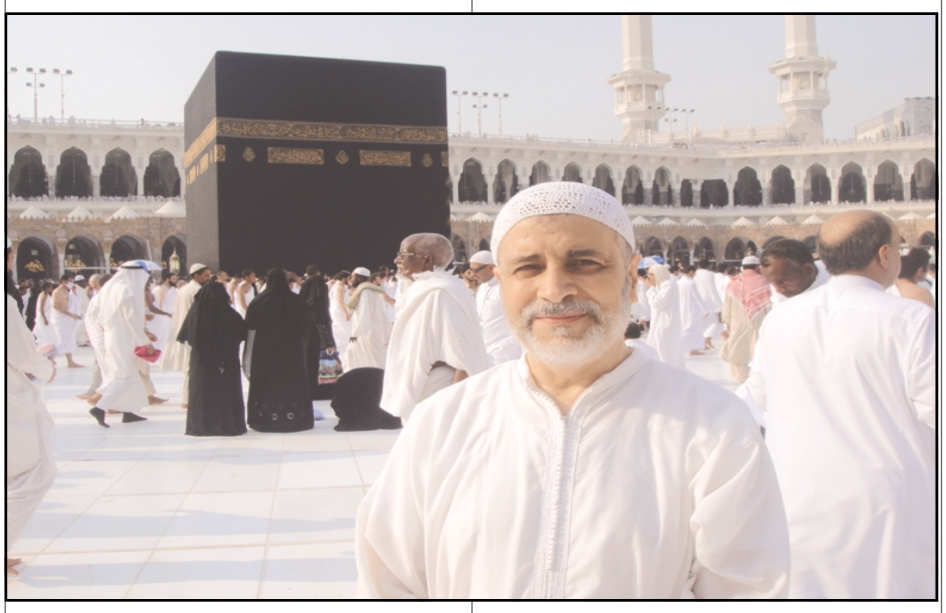

مكة لأداء عمرة يعتبرها فترة استراحة، يعود مباشرة بعد الرجوع منها إلى العمل حتى يصلي الفجر وقد يستمر إلى طلوع النهار. فقد كانت له رحمه الله طاقة على العمل قلما يستطيع من اشتغل معه على مواكبته فيها.

ومن بين أهم المشاريع التي اشتغل عليها بالسعودية، مشروع إنقاذ مدينة الدرعية التاريخية وبرنامج تنميتها. وترسيم تصور معماري حضري لشارع الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وهو مشروع ضخم يهدف إلى توسعة الحرم الشريف وإعداد نظام خاص يتعلق بوسائل التنقل، يمتد من الكعبة المشرفة إلى ضواحي مكة المكرمة. كما اشتغل على إعداد تصور حضري لتهيئة وسط الرياض. وعند مرضه كان رحمه الله بصدد تهيئة متاحف بجدة، وإعداد مخطط للسياحة التراثية بها، وترميم مساجد بمنطقة الهفوف.

كما أنه رحمه الله كان قد بدأ مشروع دراسة كتاب حول التطورات الحضرية بالمدينة العتيقة لمراكش بطلب من مديرية التعمير بوزارة السكنى. ولقد حال المرض فالموت دون إتمام هذا المشروع الذي استمر يشتغل عليه ويتكلم عنه حتى الشهور الأخيرة من مرضه، وقد أوصى بإتمامه تعميما للفائدة.

و من طرائف الصدف أن يكون آخر ما قيل عنه من قبل الإعلام الغربي هو توصيفه "بطلا للتراث"، وذلك في برنامج للتلفزيون البريطاني سجل بفاس في شهر أبريل من سنة 2010 وأذيع يوم 17 يوليوز من نفس السنة، خمسة أشهر قبل وفاته رحمه الله.

لقد كان عبد اللطيف رحمة الله عليه يعشق عمله ويجد راحته فيه، ويقول دائما أنه لو كان له الخيار مرة أخرى، لما اختار غير الهندسة المعمارية و المعمار الإسلامي عملا. و لم يكن يوازي صرامته وجديته في عمله، سوى طيبوبته الفطرية وسماحته، وتجاوزه عن أخطاء الآخرين معه وظلمهم له، ومسارعته لتقديم العون لكل من هو في حاجة إليه. لقد كان كريما خدوما مع الجميع، دون انتظار مقابل أو جزاء، بعيدا عن كل انتهازية أو وصولية. لقد ظل عفيفا نظيفا طيلة حياته، لم يغتن بعمله، واكتفى بغنى الله عن كل ما عداه.

تعايشه مع مرضه

من علامات توكل عبد اللطيف على الله وثقته به، ما أبان عنه من رباطة جأش وتماسك وصبر خلال مرضه، وخصوصا عند الصدمة الأولى، عندما علم بطبيعة مرضه وخطورته. لقد كان ذلك صباح يوم الخميس 26 فبراير من سنة 2009. كنا في الأسرة ننتظر على أحر من الجمر نتيجة التشخيص الطبي ونحن نبتهل إلى العلي القدير أن تكون النتيجة مطمئنة. وصلني صوته عبر الهاتف منشرحا كعادته، يبادرني بالسؤال عن أحوالي، فقاطعته طالبة منه أن يخبرني بالنتيجة، فأجاب مازحا (لا بأس، اطمئني ...إنما هو سرطان والأمل كبير في الله أن يشفيني إن شاء الله). لما أحس بهول الصدمة علي طفق يطمئنني ويواسيني وكأنني المريضة وهو المعافى..

هكذا ظل عبده -كما كنا نناديه في العائلة- طيلة مرضه. يهدئ من روع زائريه ويشفق عليهم من ألمهم عليه، يسأل عن أحوالهم وعن أدق تفاصيل حياتهم ليطمئن عليهم، ويعرض صادقا المساعدة والنصيحة وهو طريح الفراش خائر القوى. لم ير وهو مريض إلا مبتسما بشوشا حتى في أشد اللحظات حرجا، لم يكن يشتكي أبدا، بل كان يقاوم المرض بجلد وطمأنينة في آن. كثيرا ما كان يقول لنا خلال معاناته مع المرض: (أنا مرتاح، إذا بقيت معكم فأنا مرتاح، وإذا أخذني الله عنده، فأنا مرتاح).

كان إيمانه قويا، يعد نفسه للقاء الله راضيا بقضائه فيه، وفي نفس الوقت يأخذ بجميع الأسباب الشرعية، من طب حديث، وطب بديل، وتداو بالأعشاب. وكان كثير الحمد لله أن كان به لطيفا فيسر له جميع أسباب العلاج، داخل المغرب وخارجه، وبإمكانياته الخاصة الحلال. كما كان يشكره أن هيأ له عناية طبية رفيعة على يد أطباء أندلسيين مختصين في الطب البديل، خاصة عندما عجز الأطباء في فرنسا عن علاجه بالعلاج الكيميائي. صاروا أصدقاء له منذ تعرف عليهم في بيت والده الذي قصده بعضهم للدخول في الإسلام، فكان يكلفه باستقبالهم والعناية بهم. ولا يزال صدى صوت عبد اللطيف يرن في أذني وهو يؤم بهم صلاة الفجر، بعد أن نطقوا بالشهادتين واغتسلوا وتوضؤوا، في أحد أيام بداية الثمانينيات. منذ أن علموا بمرضه أحاطوه بعناية فائقة، عناية إنسانية أخوية صادقة، وعناية طبية دقيقة تعتمد أساسا على الطب البديل homéopathie والمقويات الطبيعية، فكانت خير معين له على مقاومة آثار المرض وتخفيف ألمه.

ومن نعم الله عليه أنه كان محاطا بكثير من الحب والحنان من لدن أسرته وأصدقائه ومعارفه وهم كثر والحمد لله، فكان يردد على مسامعنا أنه يتغذى من هذا الفيض من الحنان ويتقوى به، بعد الغذاء الروحي الرباني. فكان يكثر من العبادات ومن قراءة القرآن وتدارس كتب التصوف مع ابني خالته وزوجي أخته، سيدي الشاهد وسيدي أحمد البوشيخي. وظل رحمه الله ثاقب الفكر، حاضر البديهة حتى آخر رمق من حياته. فكان كثيرا ما يلتقط معان دقيقة صعبة المنال وهو يستمع إلى ما يسرد عليه، خاصة من كتاب الله أو (كتاب الصدق) للعارف بالله أبي سعيد الخراز، فيستوقف القارئ، ويطفق في عرض ومناقشة معان ودرر لم ينتبه لها غيره.

وعندما جاء أجله، تجلت في وفاته كل معاني ورمزية (جمالية الموت) موت المسلم، كما وصفها العالم الرباني الدكتور فريد الأنصاري رحمة الله عليه: (انسياب الروح في مملكة السلام، وانطلاق الشوق إلى الرب السلام). فقد توفي رحمه الله وهو يقرأ القرآن بصوت جهوري قوي لم نعهده فيه منذ مرضه، رافعا سبابته بالتشهد، ويده الأخرى ممسكة بجهاز التنفس، وعيناه على عداد دقات القلب. ثم بدأ صوته يخفت شيئا فشيئا وهو يردد الشهادتين، إلى أن خبا في انسياب هادئ. مات بهدوء المؤمن المطمئن. كأن روحه (..كوثر يتدفق ينبوعا من الأرض، فيعلو، ويعلو، حتى يخترق طبقات السماء برفق وسلام، ثم يتدفق من أعلى، رقراقا كالبلور الصافي..ثم يستقر بقبره ويوصل من الجنة بباب من الرحمة والرضوان، يهب عليه بأنسامها وبركتها حتى تقوم الساعة).

هكذا هو عبد اللطيف: قوي في حياته وفي مماته، قوي في إيمانه وفي أخذه بالأسباب. جسده يقاوم بما استطاع، وروحه تستسلم لإرادة الله وترحب بقضائه. يعقلها، ثم يتوكل على الله.

رحم الله أخي ورفيقي عبد اللطيف، وأسكنه فسيح جناته مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. و﴿إنا لله وإنا إليه

اكتسبت تجربة إنقاذ مدينة فاس صيتا وإشعاعا عالميين، وأصبحت نموذجا لكل مشاريع ترميم التراث والحفاظ عليه، يعترف لها بالسبق والريادة على المستوى الدولي، وتدرس في أعرق الجامعات في العالم.

عدد خاص عن المرحوم المهندس المعماري عبد اللطيف الحجامي

هذا الحجّامي.. !

د. زاهر عبد الرحمن عثمان
المدير العام السابق لمؤسسة التراث - الرياض

لا أذكر بالضبط متى التقينا وأين.. ليس لأن الذاكرة قد بدأت تخبو ولكن لأنه أصبح ملء كلِّ الزمن الذي أذكر وملء الأمكنة التي ننتمي إليها. بدايةُ ما بيننا كانت في "فاس" درَّة المغرب وحاضرة أصالته. اصطحبني إلى أركانها المتعددة عبر أزقتها التي اختزنت رائحة الزمن الجميل. وقفنا عند كل معالمها.. وكلها معالم. وكان يتحدث ممسكا قلبه الذي أودعها إياه. فقد كانت فاس بالنسبة إليه أكثر من علاقة شخصية حميمة. كانت هي المستقر والمستودع والأمل الذي رأى في نجاحه حفاظا على هوية الأمة الإسلامية من خلال الحفاظ على تراثها العمراني.

تجاوز نفسه ليجعل فاس معركة للحفاظ على التراث. واجه فيها من واجه.. وما واجه. وأصر على أن تظل شروطه المؤمنة بعراقة تراثها وأهمية الحفاظ على هويتها هي الأساس. واستطاع أن يجعل كثيرا من الجهات الداعمة لمآرب أخرى تتراجع أمام قوة يقينه وعزمه.. وأمام عظمة فاس. وأصبحت وكالة إنقاذ مدينة فاس التي شرفت بها زمنا نموذجا عالميا للحفاظ الصحيح على التراث. ونجح كثيرا في مبتغاه وبقي سكان المدينة القديمة الذين توارثوا جنباتها قرونا طويلة فيها كما أحبوا وكما لم يرد لهم البعض ذلك. وظلَّ العلامة الفارقة لفاس القديمة في زمن ما. أحبها فأحبته وأخلص لها فحفظته. لم يكن غريبا أن يستغرق المرور في أحيائها برفقته وقتا أطول بسببه. فهو يقف مع صاحب منزل أو محل يتحدث عن عقبة ما.. أو مهندس أو بنَّاء ليوجهه في تواضع الواثق.. أو يتوقف ليشير إلى ما كان مما أراد وبأسى إلى ما كان مما لم يرد. واستطاع بفريق من المهنيين المتميزين أن يجاهد من أجل الحفاظ على مدينته حتى حقق كثيرا مما تمنَّى.. وترجل باعتداد ليسلم الراية إلى من رأى فيه خلَفا.

كان أستاذا رائعا حتى في خارج الحدود الأكاديمية. مثاليا حتى النخاع في حرصه على الرقيِّ بالمستوى الطلابي إلى العالمية. وكان ذلك في أُبوَّةٍ لا يعبِّر عنها أكثر من فخره بنتائج طلبته مباهيا بهم وبرسائلهم وأطروحاتهم. وفي مجاله الاستشاري كان نموذجا أتعب من بعده بما كان يحرص عليه من مهنية غاية في الأمانة غير عابىء بالجانب المادي. وكم استغل ذلك بعض من لم يأبه بأفعالهم فظلموه ماشاؤوا ولم يرد إلا بابتسامة بها أرضى نفسه. كان مرة في زيارة لمدينة الهفوف بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية لتفقد مشروع كان هو مستشاره. وخلال الزيارة مر على مشروع لجهة أخرى استغله مدير المشروع في استشارات متعددة بقي يجيب عنها ويوجِّه بما يراه دون تردد أو تثاقل ودون مقابل بالطبع. واستمرت مساهماته في مشروعات متعددة منها مشروع تطوير مدينة الدرعية القديمة التي كانت دراساته عنها من أدق الدراسات العمرانية والاجتماعية، و كان كثير الاعتزاز بعمله على مشروع طريق الملك عبد العزيز بمكة المكرمة. وإن كان ما عمل عليه أكثر من أن يحصى وستبقى آثاره ما بقي ذكره.

كانت إنسانيته مصدر إلهامه وموجِّهة أدائه وكان يحرص على من حوله أشد من حرصه على نفسه. لم يجامل في الحق أبدا وكان جميلا في ما عدا ذلك صابرا راضيا عفيف النفس واليد واللسان، كريم الطباع. ولم تكن تلك الإنسانية نابعة إلا من إيمان بالله لم يتزعزع أبدا ومحبة لنبيه ﷺ كانت مثالا لما يمكن من إيثار على المال والولد والنفس. وكان تكرار العمرة والزيارة أحب الأعمال إليه. أما بره بوالده ذلك العالم الجليل فقد تجلَّت فيه أروع صور البر والإحسان. وظل راضيا وفخورا عند قدميه طالبا وخادما ومرافقا دون تأفُّف حتى اختاره الله إلى جواره. وحين ذلك كان حزنه عليه كأشد ما يكون الأسف وأشجى ما يكون الألم.

التقينا قبل أكثر من عام.. وفاجأني بخبر المرض الذي بدأ يعبث في جسده النحيل. وارتج علي فلم أدر ما أقول. فكان أن بدأ في تهوين الأمر علي وكأنه "عائدي وأنا الذي هدَّ السقام كياني". قال إنه عرف منذ عام أسبق وأنه منذ تلك اللحظة بدأ في الاستعداد للقاء الله وإقفال كل حساباته في الدنيا. وتعدَّدت اللقاءات وكان في كل مرة أكثر ضعفا وأشد إيمانا. لم تزده تطمينات الأطباء أو تهويلاتهم إلا يقينا بجمال ما يقدم عليه ورحمة من يقدم إليه. **لم أعرف ولم يعرف أحد ممن أعرف أنه طلب شيئا لنفسه.. إلا بطلب الدعاء وهو ما فعلته القلوب قبل الألسن.**

لم يقف منتظرا ساعة الرحيل، ومع مزيد من الرجاء والرضا استمر يعمل وينصح والخطى تتثاقل ومعها الكلمات. وبقيتُ معه في اتصالات كان الأمل يزداد فيها مرة ليخبو في التالية وفي آخر مرة استعجلت الحديث خشية الإثقال عليه فأوقفني واستمر وهو يلهث.. يدعو لي كما أدعو له.. وشتان بين دعائه ودعائي. أثقلتني الرهبة حين لم أستطع الحديث إليه بعدها.. وخشيت، ربما على نفسي أكثر. وكان الخبر الفاجع بعد ذلك بأيام قلائل: مات الدكتور عبد اللطيف الحجامي.

لك الله اللطيف يا عبده.. ومن لنا إلاه.. وستظل ذكراك كذكرك باقية في النفوس وسأفتقد ما حييت عبارتك المشوبة بابتسامتك حين تهاتفني: هذا الحجامي.. ومعذرة أيها المنتزع من أعماق النفس إذ لم أعرف كيف أقول: هذا الحجامي.

كان أستاذا رائعا حتى في خارج الحدود الأكاديمية. مثاليا حتى النخاع في حرصه على الرقيِّ بالمستوى الطلابي إلى العالمية. وكان ذلك في أُبوَّةٍ لا يعبِّر عنها أكثر من فخره بنتائج طلبته مباهيا بهم وبرسائلهم وأطروحاتهم. وفي مجاله الاستشاري كان نموذجا أتعب من بعده بما كان يحرص عليه من مهنية غاية في الأمانة غير عابىء بالجانب المادي

كلمة د. ستيفانو بيانكا

مؤسسة الاغاخان -سويسرا..

أول لقاء جمعني بعبد اللطيف الحجامي - وهو يومها حديث التخرج من مدرسة الهندسة المعمارية- كان في سنة 1976 عند المحكمة القديمة في باب الحديد بالقرب من البطحاء حيث كان فريق اليونيسكو يقيم منذ 1975، والمكلف بتطوير التصميم المديري لمدينة فاس القديمة.

عملت بشكل وثيق مع الشهير تيتوس بوركهارد. وبالنسبة لنا فلقد كان التصميم المديري تلك الفرصة التي كنا نحلم بها باعتبار أن المدينة ليست فقط كشاهد ذا قيمة على ماض عريق، وإنما أيضا كتراث حي، قادر على إلهام نهضة ثقافية حديثة على المستوى الحضري.

وقد وجدنا يومها في عبد اللطيف الحجامي ذلك الشاب المتحمس والقادر على الدفاع بقوة عن هذه الفكرة ضمن فريق غير متجانس وبعض أعضائه من لا يؤمن أصلاً بمستقبل المدينة.

ثم الانتهاء من إنجاز التصميم المديري سنة 1978 إلا أن تفعيله ظل تائها لبعض الوقت بين المتاهات الإدارية لبعض الوزارات. فيما بعد أخذت خلية الإنقاذ مع الوكالة للتخفيف من الكثافة السكانية وإنقاذ مدينة فاس ADER المشعل. إن نمو هذه المؤسسات المحلية يعود الفضل الكبير فيه لتفاني وروح المبادرة وقوة الاقناع التي كانت كلها مجتمعة في عبد اللطيف الحجامي لم يكن عبد اللطيف الحجامي فقط رائداً في إطلاق مشاريع اليونسكو والبنك الدولي من أجل تحسين الظروف المعيشية لسكان المدينة القديمة وإنما كذلك المحرض الرئيسي لعقد الشراكة مع العديد من الشخصيات المغربية والذين انخرطوا في عملية تمويل عدد من الترميمات لمآثر تاريخية ذات أهمية قصوى...

بعد 1979 قادني مشواري المهني إلى دول أخرى كسوريا ومصر والباكستان. ولذلك فقد تقلصت فرص لقائي بعبد اللطيف الحجامي ولكني بقيت دائما محافظا على صداقة كبيرة مع عبد اللطيف إضافة إلى احترام عميق لتفانيه المهني بصفته رائداً لقضية مشتركة ربطت بين قلوبنا.

إن وفاته المفاجئ أحزنتني كثيرا.

أتقدم بأحر التعازي لفقدان رجل لولا جهوده لما كانت مدينة فاس كما هي عليه اليوم. لتهدأ روحه في السلام.

الدكتور ستيفانو بيانكا
مؤسسة الآغاخان -سويسرا..

ترجمة : ذ. عبد القادر لوكيلي

Ma première rencontre avec Abdellatif al-Hajjami, alors jeune diplômé d'architecture, a eu lieu en 1976 à l'ancienne Mahaqma de Bab al-Hadid près de Batha où était logée depuis 1975 l'équipe de l'UNESCO chargée de l'élaboration du schéma directeur pour la ville de Fès. Je collaborais étroitement avec l'éminent Titus Burckhardt et pour nous le schéma directeur était l'occasion rêvée de considérer la médina non seulement comme un témoin précieux d'un passé révolu mais comme un patrimoine vivant, capable d'inspirer un renouveau culturel à l'échelle urbaine.

Nous avons trouvé en Abdullatif un jeune allié capable de défendre rigoureusement cette idée au sein d'une équipe internationale hétérogène dont certains membres ne semblaient pas, à priori, convaincus du futur de la médina.

Le schéma directeur a été achevé en 1978 et sa mise en oeuvre s'est égarée en quelque sorte dans le labyrinthe administratif de différents ministères. Plus tard la cellule de sauvegarde et l'ADER ont repris le flambeau. L'essor bien établi de ces institutions locales est largement dû à líinitiative, au dévouement et au pouvoir de persuasion d'Abdellatif qui en était la force motrice. Il a non seulement été le pionnier du lancement de la campagne internationale de l'UNESCO et des projets de la Banque Mondiale pour l'amélioration des conditions de vie en médina mais également l'instigateur du partenariat avec des mécènes marocains qui se sont engagés dans le financement d'un certain nombre de restaurations de monuments importants.

Après 1979, mon parcours professionnel s'étant orienté vers d'autres pays comme la Syrie, l'Egypte et le Pakistan, nos rencontres se sont faites plus rares mais j'ai toujours gardé une grande amitié pour Abdellatif et un profond respect pour son engagement professionnel en sa qualité de leader d'une cause commune qui nous tenait à coeur. Son décès prématuré m'attriste et j'aimerais rendre hommage à celui sans qui la médina de Fès ne serait pas ce qu'elle est devenue aujourd'hui.

Que son âme repose en paix.

Stefano Bianca

د. محمد عامر الوزير المنتدب المكلف بالجالية المغربية بالخارج :

عبد اللطيف الحجامي : ارتبط باسمه مشروع إنقاذ فاس، وتأسيس المدرسة الوطنية للمهندسين(*)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على خير المرسلين، الأخوات والإخوة أعضاء عائلة المرحوم، الأخوات والإخوة أصدقاء ومحبي الأستاذ المرحوم عبد اللطيف الحجامي. لم أكن أنوي الوقوف أمامكم اليوم، لكن عندما طلب مني الإخوة المنظمون تقديم كلمة في هذا المحفل الرهيب لم أتردد لسبب بسيط، لأن الرجل الأستاذ عبد اللطيف الحجامي أعطى لهذا البلد ولهذا الوطن الشيء الكثير، ويمكن لي أن أقول بدون أن أبالغ أننا تعلمنا منه الشيء الكثير سواء من قريب أو من بعيد، فالأستاذ عبد اللطيف الحجامي -بعد كل ما سمعناه وما رأيناه- هو مكافح ومناضل، وليس بغريب فهو ينتمي إلى عائلة أعطت الشيء الكثير،في مكافحة الاستعمار وأعطت الشيء الكثير في العمل الفكري والثقافي، وأيضا في العمل السياسي.

فالأستاذ عبد اللطيف الحجامي، شاءت الظروف أن أتعرف عليه في الثمانينات عندما بدأت الاشتغال في كلية فاس بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، وكنا مع مجموعة من الأساتذة في قسم الجغرافيا، شرعنا في الاشتغال لإنجاز أطلس المدينة القديمة بفاس كإسهام من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في المشروع الوطني الكبير، الذي كان يهم إعادة الاعتبار وإنقاذ مدينة فاس.

فتعرفنا في الواقع ليس على المهندس، بل على الرجل الذي كان مسئولا بمدينة فاس عارفا بدقائقها متمكنا من مشاكلها، عارفا وعالما بتاريخها، متمكنا أيضا من كل ما يهم فاس ومن خلال فاس كما تفضل الإخوة السابقون، متمكنا في كل ما يتعلق بقضايا العمران الأصيل في المغرب وفي العالم الإسلامي.

فإليه يرجع الفضل في تأسيس مدرسة قائمة الذات.وأعتقد أنه عندما نتحدث عن مدرسة، فليس هناك أدنى مبالغة، فالأستاذ عبد اللطيف كان سباقا لإدراك أهمية المعمار الأصيل في بناء الهوية الوطنية المغربية وكان سابقا لعصره لأنه اشتغل دائما في وضع غير مريح، بل كافح وقاوم وأعطى الشيء الكثير ليقنع المسئولين والمهتمين بأهمية الأخذ بعين الاعتبار القضايا العمرانية الأصيلة، فبصماته لا زالت واضحة بقوة في أول تصميم مديري لمدينة فاس.

فإليه يرجع الفضل في وضع المدينة الأصيلة في قلب المخطط العمراني لمدينة فاس.وأصدقاؤه الحاضرون معنا اليوم يذكرون كلهم مقاومته وكفاحه، وكم كان قادرا على الدفاع عن هذه المنهجية التي كان البعض يعتقد أنها ليست لها أهمية آنذاك، ولحسن الحظ أن التاريخ أثبت صحة ووجاهة اقتراحات الأستاذ عبد اللطيف آنذاك. وإليه يرجع الفضل في تصنيف مدينة فاس كتراث معماري عالمي، فهو الذي أشرف شخصيا على وضع الكتب وعلى إنجاز الملف الذي قدم آنذاك لمنظمة اليونسكو، وكنا نعرف جميعا أنه لم يكن يتوفر على إمكانيات كبيرة، وأنه كان يشتغل في مناخ لم يكن دائما مناخا ملائما. وإليه كذلك يرجع الفضل في كل ما أنجز على أرض الواقع بمدينة فاس، وإليه يرجع الفضل في بناء وتشكيل المدرسة الوطنية اليوم، التي تهتم بقضايا العمران الأصيل والعمران التقليدي.

فالوقت لا يسمح ببسط وتقديم كل ما قدمه الأستاذ عبد الطيف الحجامي لهذا البلد ولهذا الوطن،فيكفيه فخرا أن طلبته وأبناءه وأحباءه، والكثير من محبيه وأصدقائه يسيرون اليوم على نفس الدرب والخطى التي ناضل عبد اللطيف حجامي من أجل إثباتها ومن أجل بنائها.

هذه هي الكلمات التي أردت أن أسهم بها في هذا الحفل،وأطلب من الله تبارك وتعالى أن يرحمه وأن يجعله إن شاء الله بين الأنبياء والصديقين. وأن يجعلنا أن نكون في مستوى الاستمرار في ما بناه وفيما أسسه، عمرانا، وأخلاقا وسلوكا وعملا، وشكرا لحسن استماعكم.

(*) كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

د. أحمد عبادي الأمين العام للرابطة المحمدية لعلماء المغرب :

بأمثال عبد اللطيف الحجامي يحلو للمرء بأن يقول أنا مغربي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين. أيها الأحبة الحضور أحمد الله عز وجل الذي وفقنا في هذا المقام إلى تكريم الأكارم، إلى تكريم ذاكرة الشريف الماجد سيدي عبد اللطيف الحجامي طيب الله ثراه. وقد أعجبني كثيرا أن هذا التكريم قد تضافرت عليه أسرة الفقيد رحمه الله مع إخوانه وأخواته في هذا الورش الحضاري العمراني المحدد. وأريد في هذه الكلمات أن أركز على ثلاث خصال عرفتها في الفقيد رحمه الله، وبعض ما يتفرع عنها.

خصال الأستاذ عبد اللطيف

الخصلة الأولى : خصلة الألمعية :

فالفقيد رحمه الله لاستعداده الفطري ولكرم محتده وللسياق الذي درج فيه، وللنهزة التي أتيحت له، أن يكون أبا الماجد العلامة المجاهد سيدي أحمد الحجامي رضي الله عنه وطيب ثراه. كل هذه الخصال جعلت هذه الألمعية تنمو وتنداح في خلق الفقيد، وفي كل ما كان يأخذه ويراه. هذه الألمعية كانت لها تجليات، وأول هذه التجليات :

● **الذكاء :**

ونقصد به الذكاء الاجتماعي الذي تحلى به داخل أسرته، وفي ورش أعماله وفي علاقاته، ولعلكم لاحظتم ولاحظتن جميعا، أن سيدي عبد اللطيف الحجامي مع الأمير شارلز، مع الميكادو الأمير الياباني، مع المختار مبو، أو مع جلالة الفقيد الحسن الثاني رحمه الله. مع كل هؤلاء كان سيدي عبد اللطيف هوسيدي عبد اللطيف، ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾. كان سيدي عبد اللطيف رغم الموران الذي تموره الأفكار والكلمات، لهذه الوقدة من الذكاء التي كانت فيه، كان يعرف كيف يرتبها ويعدل بينها، ولا يأذن للواحدة منها طالت أوقصرت بالخروج إلا في مقامها. كم رأيناه مطرقا وهويرتب كلماته وينظمها في ذهنه. تارة يملأ الفراغات بالابتسامات الدالة، أوبالكلمات المتسائلة، أوبالحركات المهدئة قبل أن يقرر أي كلمة وجب أن تصدر من فيه المطهر أولا. هذا الذكاء الاجتماعي يلمس في كيفية تأطيره، في كيفية اصطحابه عبر دروب هذا العلم المركب، الذي هوعلم العمران، والكلام عن العمران يفسح لي النهزة لكي أنتقل إلى تجلٍ آخر لخصائص الألمعية عند الفقيد عبد اللطيف حجامي.

● **الجمع بين علوم الدين والدنيا وحسن توظيفهما :**

كان أول قائم بمهن الكونتوازور هو الفقيد الشريف الماجد الولي الواصل سيدي أحمد الحجامي طيب الله ثراه ورضي عنه، وكنت أرى سيدي عبد اللطيف بين الفينة والأخرى، لكن مرة قررت أن أهجم عليه رفقة مجموعة من الطلبة الأمريكيين حيث ذهبت إليه إلى الوكالة، وطلبت منه أن يصطحبنا في رحلة، فلم يتردد، ولم يقل لا. فرأيت هذا التجلي من تجليات ألمعيته. اكتشفت أن الرجل رحمه الله كان يدمج علمه بالأنتروبولوجيا، وهذا القليل من يعرفه بالمجال العمراني، وكان متضلعا في هذا العلم مما فرض عليه أمانة أن يدخل الأبعاد النفسية والفكرية، والحضاراتية والهوياتية للذين بنوا فاس وهو يعالج مدينة فاس، لأنه رحمه الله كان فعلا يستشعر أنه طبيب يتعامل مع كيان، يشبه أن يكون نسيجا وحده، ليس بيولوجيا، نعم، هوعمراني ولكن تتداخل فيه الأبعاد النفسية والفكرية والأنتروبولوجية. فرأيته يتكلم وهو يأخذنا في السواقي يتكلم عن المقاصد، مقاصد التشريع وحفظ النفس وحفظ الدّين، النسل والعرض، وحفظ العقل وحفظ المال، ويحاول أن يستحضر كل بعد من هذه الأبعاد في التصميمات التي كان يضعها هؤلاء الأسلاف الأشاوس وهم يرفعون هذا العمران الناطق. لو ذهبت أتتبع تجلياتها البعد الواحد من أبعاد ألمعية الفقيد رحمه الله لما فرغنا من قريب.

● **تركيزه على التفاصيل :**

التجلي الثالث من تجليات الألمعية وهو تركيزه على التفاصيل. كثير من ذوي الذكاء وذوي الألمعية تغلبهم التفاصيل، وكنت أسائل سيدي عبد اللطيف مرات، بطريقة مباشرة، كيف تصبر على التفاصيل وأنت تحمل كل هذه الأفكار في ذهنك، فكان يقول التفصيل هوالأس الذي ينبني عليه كل شيء بعده. وكان يفشي وأحيانا يشي بأن هناك مكابدة، كان يكابد ليصبر رحمه الله على التفاصيل، ولكنه كان يعي أن التفصيل هوالأساس الذي ينبني عليه كل شيء. وكان يصر على أن يكون طلبته ومريدوه في هذا الفن، لأنه كان على منهج المعلمين الكبار، يشكل نوعا من التواطؤ النفسي والوجداني حول الورش وليس فقط علاقة أستاذ مدرس وطالب أوطالبة يدرسا.

● **القدرة على التركيب :**

التجلي الأخير الذي أود أن أختم به هذه الخصلة الأولى وهي خصلة الألمعية :هو هذه القدرة على التركيب، بحيث لم يكن يقارب التصميم الذي كان يكب عليه بكل كينونته، من الزاوية الوظيفية أو من الزوايا التي يعرف أنها ينبغي أن تكون حاضرة، الاقتصادية والاستعمالية إلى غير ذلك، ولكن كان يقاربه من زاوية أخرى، وهي تحقيق السعادة وهذا المقصد قل من جلاه في هذا الباب العمراني، تحصيل السعادة أن يحصل المنتوج العمراني ويقرب المستعمل من سعادة معينة تقدر بمقاديرها، ولن أستطرد كثيرا في هذا الباب.

الخصلة الثانية : خصلة البر بالوالدين:

أول ما رأيناه في الشريط أنه كان يصحب والده رضي الله عنه إلى صلاة الفجر وكان يحرص على أن يكون رهن الإشارة وملبيا للطلب، مذكرا إيانا بالحديث الشريف الصحيح الذي فيه أن ثلاثة أشخاص قد انسدت عليهم صخرة، فقاموا يتقربون إلى الله بصالح أعمالهم، فكان من هؤلاء رجل فقال، اللهم إنك تشهد أنني كنت لا أغدق أوأصبح أحدا من أبنائي قبل أن أغدق أوأصبح والديّ، وذكر شيئا من ذلك جليلا جميلا حتى انفرجت الصخرة. أشهد أن سيدي عبداللطيف الحجامي رحمه الله كان من هؤلاء، غير أن بروره لم يقتصر على أسرته الصغيرة، ووالدَته المرحومة، ووالده المرحوم وزوجته وإخوانه وأخَواته وأبنائه بل كان يمتد إلى كل من يعرفهم، كان يمتد إلى مدينَته، وبلده بل كان يمتد إلى أمته، بل كان يمتد إلى البشرية جمعاء.

الخصلة الثالثة : خصلة التقوى :

أختم بخصلة كانت أبهى تجلياته هي التي رأيتها في آخر زيارة تشرفت بها لأخي الفقيد سيدي عبد اللطيف حجامي رحمه الله:هي التقوى ومراقبة الله عز وجل. كان من آخر ما سمعته منه رحمه الله، أنه قال :"فلان، أنا الآن راني تنقادد الأوراق ديالي" (بمعنى أنا أهيء نفسي وأستعد للرحيل إلى الآخرة). فنظرت إليه نظرة المستفسر، ورغم ألمه كان يفك شفرات النظرات والنبرات أيضا. ففهم نظرتي وقال: لن أكتمك أني رأيت رؤيا فيها الوالد والجد رحمهما الله، رغم أنني لم أره فيزيولوجيا، لكن رأيته من خلال والدي، يقولان لي:"إننا بانتظارك يا عبد اللطيف، فأعد نفسك واستعد جيداً". قال فبرمجت لنفسي وألزمت نفسي ببرنامج من الأذكار ومن تسديد الأمانات ، ومن إبلاء العنايات في كل مجالاتها.

هذه الخصلة التي كان رحمه الله على وعي بها أن يجدك الله حيث أمرك، وأن يفقدك حيث نهاك. أن تؤمن بالجليل وترضى بالقليل وتستعد ليوم الرحيل، وتعمل بالتنزيل. كان يستصحب هذا رحمه الله خلال كل حياته، ولكن الله أكرمه بأن أعطاه هاته الدفقة النهائية، فكان من إكرام الله عز وجل فكان آخر ما داعب لسانه الطاهر، هوآيات كتاب الله عز وجل، والخواتيم هي التي فطرت أكباد العارفين.

نسأل الله عز وجل أن يجعل في أبناء سيدي عبد اللطيف الحجامي (الشبحيين والروحيين) كما نقول بالدارجة، البركة وأن يحملوا هذه الرسالة الكريمة من بعده. إذ **بالنظر إلى أمثال سيدي عبد اللطيف يسهل بل يحلو للمرء أن يقول أنا مغربي أنا مسلم، والحمد لله رب العالمين.**

(*) كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

د. محمد قوام رئيس جامعة شعيب الدكالي :

عبد اللطيف الحجامي : عالم ومهندس موسوعي ... سابق لأوانه(*)

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أيها الحضور الكريم كان لي الشرف أن أتعرف على سيدي عبد اللطيف الحجامي، عندما كنت أستاذا بالمدرسة المحمدية للمهندسين. كنت آنذاك مسئولا عن شعبة هندسة البنايات والقناطر والطرق بمدرسة المهندسين. لقد اتصلت بسيدي عبد اللطيف الحجامي وطلبت منه إعطاء دروس في الهندسة المعمارية للطلبة المهندسين. وفي الحقيقة كانت مناسبة لي عظيمة لأشتغل معه في عدة أوراش. لقد فتح لي الباب لأعطي دروسا في هندسة الهياكل لطلبة مشغل التراث بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، من سنة 1986 حتى بداية التسعينيات. ثانيا لقد فتح لي المجال أيضا للإسهام في تأطير طلبة مشغل التراث، في إطار مشاريع نهاية الدروس. وأتاح لي الفرصة لأقوم معه بأبحاث مهمة جدا تخص ترميم البنايات التاريخية، وخاصة بنايات ومآثر معالم مدينة فاس.

سيدي عبد اللطيف كان مدرسة، كان يجعلك تحس بسرعة أنك قريب منه جدا، وأنك واحد من العائلة، كان شغوفا بحب التراث وخاصة التراث العربي والتراث الإسلامي. كان يجعل من مشغل التراث مجالا للتفاعل مع كل الاختصاصات : الأركيولوجيا، السوسيولوجيا، العلوم الهندسية، وحقول معرفية أخرى. كان سباقا في كل شيء.

توفرت في سيدي عبد اللطيف موسوعية العلماء المسلمين القدماء التي قلما نجدها اليوم، إذ كان يهتم بكل العلوم :العلوم الهندسية، المعلوميات، الكيمياء، الفيزياء، الرياضيات، علوم المواد، طرق الترميم، العلوم الدينية وغيرها.

كان رحمه الله دائم الابتسامة كما نراه في الصورة، ويملك روح الدعابة، يتمتع بذكاء ثاقب، وله قدرة كبيرة على التواصل، وكان جادا في عمله لا يفرق بين أيام العمل وأيام العطل، فكثيرا ما اشتغلنا أيام السبت والأحد، وأيام العطل. كانت الأيام كلها أيام عمل. في الحقيقة كانت له أفكار سابقة لأوانها، كان يريد التغيير وبسرعة. أنا على يقين، أنه إذا كان بيننا اليوم وعاش معنا الأحداث التي يعرفها العالم العربي والمغرب بالخصوص، لكان سعيدا جدا بهذا التحول السلمي العميق والحكيم الذي يعرفه مغربنا .

اللهم إنه صبر على البلاء فلم يجزع، فامنحه درجة الصابرين الذين يوفون أجورهم بغير حساب، اللهم امنح أهله وذويه البر والسلوان. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين. وفي الأخير إني أثمن كل الاقتراحات التي جاءت بها الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين، وسأكون سعيدا جداً للإسهام فيها قدر المستطاع.

كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

د . إبراهيم أقديم عميد كلية الاداب والعلوم الإنسانية فاس –سايس :

عبد اللطيف الحجامي : عالم ومهندس أصيل ووطني مخلص(*)

بسم الله الرحمن الرحيم.

السيدات والسادة الحضور الكريم،

أشكر في البداية الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين الدين أتاحوا لي هذه الفرصة، للإدلاء بشهادة أعتبرها غالية في حق شخص نحبه جميعا، المرحوم عبد اللطيف الحجامي. ففي ذكرى رحيله ندعو لروحه الطاهرة بدعاء الرحمة والغفران. ونقول إن الموت اختطفه، في ظرف غير منتظر وفي أوج عطائه في الحقيقة. وقد ترك رحيله المفاجئ أثرا عميقا في كل الذين عرفوه.

بهذه المناسبة أود أن أذكر بعضا مما علق بذهني، وأنا أستاذ بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، ثم بعد ذلك بصفتي عميدا لكلية الآداب سايس. لأن الذكريات كثيرة وكلها نبيلة تثبت ما كان يتوفر عليه المرحوم من قوة الإبداع، قوة التواصل وخصال إنسانية نبيلة. لقد تعرفت عليه شخصيا قبل أكثر من عقدين من الزمن لاسيما عندما كان مديرا عاما لوكالة الإنقاذ والتخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.عندما استجاب بتلقائية كبيرة، لنداء الجامعة بعقد اتفاقية للشراكة والتعاون سواء في مجال التكوين أو في مجال البحث العلمي، وكانت تلك أول اتفاقية وقعتها كلية الآداب سايس، ولا زلنا نحتفظ بنموذج منها وبتوقيعه. ذكرى لهذا الإسهام الجامعي، كما أن المرحوم عبد اللطيف الحجامي، وإظهارا للخصال التي أشار إليها الأساتذة السابقون، من موسوعية وانفتاح أكاديمي على كل التخصصات لم يتردد في الإسهام في بلورة تكوينات داخل الجامعة وأذكر هنا، إسهامه الجميل والجيد والثمين في خلق إجازة أولى، الإجازة المهنية، الإجازة التطبيقية تسمى آنذاك، التي كانت تحمل عنوان تهيئة وإنقاذ المدن العتيقة. وتخرج منها أفواج، وكان رحمه الله يساهم في التكوين بالتدريس، يسهم في التأطير الميداني بمصاحبة الطلبة إلى المدينة، كما كان يسهم بمد الطلبة وخزانة الكلية، شعبة التاريخ والجغرافيا، بالوثائق والمستندات حتى يكون التكوين أكثر علمية، وأكثر تطبيقية.

أسهم أيضا في خلق وحدة للدكتوراه كان قد قدمها الأستاذ محمد مزين في كلية الآداب سايس، واعتمدت في تكوين الطلبة الباحثين في إشكاليات إنقاذ المدينة المغربية، النسيج الأصيل طبعا، قضايا الإنقاذ والتهيئة. ولا زلنا اليوم نناقش بعض الأطروحات المتبقية من الطلبة المسجلين في البداية. وهمت الأبحاث التي أنجزت في هذه الوحدة، مجمل المدن الكبرى المغربية، آخر الأطروحات ربما سوف تناقش يوم 30 مارس 2011 حول تهيئة وإنقاذ النسيج الأصيل لمدينة مكناس. من تحضير طالب يشتغل في الوكالة الحضرية لمدينة مكناس، هوالطالب كنبورة تحت إشراف الأستاذ مزين والأستاذ الحاج موسى عوني.

هذا لأقول منكم إن ما زرعناه رفقة المرحوم بدأنا نحصد نتائجه على مستوى الإنتاج، على مستوى التوثيق على مستوى بلورة ما أشار إليه للمحافظة على التراث. وأود في هذه المناسبة أن أذكر شيئا جميلا يتعلق بجانب من أخلاقه وهو : سخاؤه وعطاؤه واعتزازه بوطنيته المغربية، افتخاره بالخبرة المغربية في مجال الإنقاذ حيث بفضله أسهم الخبراء الجامعيون في نقل المعرفة المغربية إلى الخارج، فتكلم عنها بجامعة هارفارد ومحافل دولية متعددة. وساهم رفقة هؤلاء الخبراء – ويتواجد عدد منهم الآن– في إنقاذ المدن التاريخية، لاسيما في المملكة العربية السعودية، كما أتذكر شخصيا عملي بجانبه وبجانب فريق من الأساتذة في مشروع من الأهمية بمكان، يتعلق بدراسة وسائل إنقاذ الحرف والمهن المهددة بالاندثار، في مدينة فاس. وهومشروع قد كان اقترحته وزارة الصناعة التقليدية آنذاك، وأفتخر وأعبر عن ارتياحي عندما جئنا إلى الرباط لتقديم نتائج ذلك المشروع، فنوه السيد الكاتب العام بعمل الفريق تحت قيادة المرحوم. ووعده بأنه يمكن أن يكلفه بدراسة نماذج مشابهة بمراكش ومدن مغربية أخرى.

لقد كان المرحوم شجاعا مقاوما حتى في لحظات ضعفه ومرضه، وأتذكر زيارتنا له قبل أشهر في منزله، وكيف أنه وهو فعلا منهار القوى، كان يشارك في مناقشتنا، ويعطي رأيه في مختلف القضايا المطروحة، ويعدنا أنه مباشرة بعد شفائه سيستمر في بلورة التعاون مع الجامعة. لكن الله أراده لعالم رحمته، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة.

أستعيد بعض الأفكار من المسائل التي أشير لها، للقول إن المرحوم كانت له فعلا رؤيا خاصة للتخطيط العمراني، يربط فيها ما بين العصرنة، والعمل التقني، ما بين التراث والفكر والهوية بشكل يجعله في كل مناسبة يذكر بأن العمران والتخطيط العمراني هو مجال الرهانات، وأن مسؤولية المخطط هو أن يعبر عن هاته التوازنات للحفاظ على هوية المجتمع، ويذكرنا بالمقاصد الخمس التي أشير إليها سابقا.بالإضافة طبعا إلى ضرورة المبادئ العصرية للعمران المتمثلة في: الوظيفية، الجمالية وغيرها.

إن المرحوم كانت له فعلا رؤيا خاصة للتخطيط العمراني، يربط فيها ما بين العصرنة، والعمل التقني، ما بين التراث والفكر والهوية بشكل يجعله في كل مناسبة يذكر بأن العمران والتخطيط العمراني هو مجال الرهانات، وأن مسؤولية المخطط هو أن يعبر عن هاته التوازنات للحفاظ على هوية المجتمع، ويذكرنا بالمقاصد الخمس التي أشير إليها سابقا.بالإضافة طبعا إلى ضرورة المبادئ العصرية للعمران المتمثلة في: الوظيفية، الجمالية وغيرها.

لن أطيل عليكم، سأقول فقط بأن ذكرياته الخالدة، ستبقى لدى زملائه الذين اشتغلوا بجانبه، ستبقى لدى طلبته في المدرسة الوطنية للتعمير والهندسة المعمارية، ولكن أيضا يجب أن نذكر هذا باستمرار، ستبقى ذكرياته لدى طلبته في شعب التاريخ والجغرافيا وبالجامعات المغربية التي كان لها الحظ في الاستفادة من خبرته.

ندعو جميعا له بالرحمة، لأنه كان عالما، كان وطنيا مخلصا، كان يلتزم ويضحي، ذكرتم أنه كان يشتغل أيام السبت والأحد، أقول يشتغل بالليل والنهار. ويشهد معي زملائي، عندما كنا نشتغل بمشروع إنقاذ الحرف التقليدية، أننا نبدؤه في السادسة والنصف عشية لا نفترق إلا بعد منتصف الليل. فمن بيننا من يقول: سي عبد اللطيف قد تعبنا، فيقول سنستمر، لأننا هكذا في "وكالة الانقاذ" (L'ADER). فرحم الله الفقيد رحمة واسعة وضاعف صبر عائلته الصغيرة والكبيرة، و﴿إنا إليه راجعون﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

03 رجب 1432هـ - 06 يونيو 2011 م- العدد : 360

الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين : (*)

شهادات تقدير ومقترحات وفاء

بسم الله الرحمان الرحيم

يلتئم اليوم شمل أسرة المعماريين بالمغرب من مختلف جهات المملكة، وضيوفها الأفاضل والكرام بتعدد مشاربهم المقتدرة وباختلاف روابطهم بالحدث والملتقى، ليحتفي الجميع بعلم من أعلام الفكر العمراني والمعماري بالمغرب وخاصة الأصيل، وبمرجع ثر زاخر، وبمنارة شامخة اقتدت بإنتاجها وعطائها أجيال متواصلة من الطلبة والمعماريين والباحثين والمهتمين بالتراث المعماري بالمغرب.إنه ذلك الرجل الشهم المتواضع، العالم المجتهد حامل القلب السموح والكبير، المفعم بروح التعايش مع الآخرين وبمحبتهم الصادقة والمجيد للإنصات والمالك مهارة التنقيب وعمق التحليل.

نلتقي اليوم لنحيا حدثا هاما ذا دلالة متميزة : الاحتفاء بتكريم فضيلة الأستاذ الكبير المعماري عبد اللطيف الحجامي تغمده الله برحمته. وذلكم للأواصر العديدة التي ربطتنا به منذ أن سعدنا بالتعرف عليه أزيد من عقدين من الزمن، في النطاق الجامعي وفي إطارات أخرى متعددة.وكان له دور كبير في إقناع رئيس المجلس الوطني للدخول للوطن الحبيب.

وإنه ليكفي لإبراز بعض سمات الجانب الإنساني عند هذا الفقيد العزيز الأخ الأود، أن نشير إلى دماثة خلقه، وخصاله النبيلة السامية، وفكره القيم، ومكانته العلمية العالية ولين جانبه، وحسن معشره، وكبير تواضعه وهدوء طبعه ورهافة حسه، ورحابة رأيه واتزان مواقفه.

أما عن جهوده العلمية،وهي أكبر من أن تحصى أو تحصر، فتكفي الإشارة منها، أحاديثه وعروضه في مختلف الملتقيات الثقافية والعلمية بالمغرب والخارج، ودوره الريادي والمتميز في وضع أسس مدرسة مغربية جسدت استراتيجية متميزة لرد الاعتبار للنسيج الأصيل العتيق، بمختلف تمظهراته والتي أضحى لها صيت دولي وقاري هام.

وفي الختام لا بد من الوقوف باحترام وتقدير وإجلال من الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين بكل مكوناتها، للمسار والمسلسل النضالي الذي واصله الفقيد بالعمل المتواصل الدؤوب لترسيخ المنظور النبيل والشريف للرسالة التي يجب أن يكون عليها ويلعبها ويؤديها المهندس المعماري، من دور طلائعي مع باقي مكونات القوى الحية في المجتمعات، في كتابة وبناء الحضارة وتجسيد تاريخ الأمة والشعوب عبر الأمكنة والأزمنة.

مرة أخرى مرحبا بكل أفراد أسرة الفقيد الصغيرة والكبيرة في حضن أسرة المعماريين بالمغرب.ومرحبا بكل أصدقاء المرحوم من شخصيات فكرية وسياسية مرموقة ووازنة.مرحبا بالطلبة القدامى والجدد والمهتمين بالفكر الحجامي للتراث، ومرحبا بكل المعماريين الذين لبوا الدعوة.

أما الكلمة الأخيرة فهي مسقطة على المستقبل، نابعة من الحب الذي يكنه الجميع للفقيد، وهي عبارة عن مقترحات الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين وهي كالتالي :

– أولا : تدعو الهيئة إلى خلق مؤسسة دولية تحظى بالنفع العام تحمل اسم المرحوم الحجامي للحفاظ على التراث العمراني والمعماري بالمغرب.

– ثانيا : إرساء جائزة الحجامي للتراث، والتفكير في الكيفية التنظيمية لها.

– ثالثا : التفكير في تحديد محور من المحاور الكبرى والهيكلية للمدينة العتيقة تحمل اسم المرحوم اعتبارا وتقديرا لكل ما قدمه وعمله من أجل هذه المدينة العزيزة كثيرا،الرائعة على قلبه كتراث إنساني لمدينة فاس.

رابعا : التفكير في خلق ورشات الحجامي للتراث المعماري والعمراني بالمغرب،بمختلف الأسلاك الجامعية ذات الارتباط بالقطاع.

خامسا: العمل على خلق ورشة خاصة في إطار الماجستير تسمى الحجامي بالمدرسة الوطنية للمهندسين المعماريين بالمغرب.

سادسا:التفكير في إحداث مجلة لتجميع الفكر الحجامي، وخلق جسر تواصلي مع الأجيال الجديدة للمعماريين المغاربة.

(*) كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

فاس : المحافظة على مدينة

جوش مارتن
مستشار وصحفي مقيم في نيويورك، متخصص في التنمية الاقتصادية والثقافية في الشرق الأوسط

يا فاس! فيك اجتمعت كل محاسن الدنيا كم هو عدد البركات والثروات التي تغدقينها على سكانك؟

التحدي وحده الذي سوف يختبر قدرات الإنسان وتخيلاته إلى أقصى حد

(أمادو –ماهترمبو)

فاس –المركز المغربي القديم للتعلم والفنون– هي اليوم محط أنظار عالمي كواحدة من أهم وأكثر المدن العتيقة التي تنصب عليها جهود حثيثة من أجل ترميمها والمحافظة عليها وفق برنامج طموح واجهت –في أحيان كثيرة– نقاشات حاة على اعتبار أن هناك مدناً أخرى غيرها تحتاج إلى نفس الاهتمام والعناية.

وعلى هذا الأساس فعملية ترميم مدينة فاس تُعد مفخرة محلية وهيبة وطنية واهتماماً كونيا في نفس الوقت.

فالمدينة تمثل أكثر من كونها متحفاً مهماً للمآثر التاريخية، ولكنها أيضا أكبر المدن المنتمية إلى القرون الوسطى والتي وجدت كاملة.

محافظة بذلك على المهارات الفنية التقليدية والمتجلية بوضوح ليومنا هذا في صناعة الجلود والملابس والخشب والمنتوجات الحديدية المُنتجة والمسوقة هناك.

وهي –إضافة إلى ذلك– تأوي مؤسسات ذات شهرة في تدريس علم اللاهوت الإسلامي والعربي. كما أنها مركز سياسي وواحدة من العواصم الملكية الخمسة عبر تاريخ الأسر المالكة في المغرب.

فاس تعني أشياء مختلفة لمختلف الناس، فهي بالنسبة للبعض مدينة جامع القرويين –ثاني أكبر جامع في شمال افريقيا ومجاور لأقدم جامعة في العالم.

أما بالنسبة لآخرين، فهي مركز لفنون الزخرفة وذات الشهرة العالمية في صناعة الجلد والحديد.

فاس تجعل زائريها يستحضرون صورة أخرى لجوهر مدينة أسطورية عربية حيث مآة المآذن لا زالت تشهد بصدق العاطفة الدينية للمدينة إضافة إلى عشرات البوابات العتيقة التي تقودك إلى الفنادق أو المدارس القديمة أو إلى رياض وقصور التجار.

كل هذا كان مهدداً بالاضمحلال والسقوط خلال هذا القرن تحت ضغط ارتفاع في عدد سكان المدينة إضافة إلى الإهمال.

وقد لاحظت (منظمة اليونسكو) ذلك مع البدايات المبكرة للثمانينيات، لاحظت أن فاس "في خطى فقدان أصالتها الضارية في عمق التاريخ والتي تجعل منها واحدة من أصفى الجواهر في العالم الإسلامي".

فأشغال الترميم العشوائية مع تراجع المعايير وعوامل التعرية تسببت في تشويه العديد من أشهر بنايات المدينة.

عملية الترميم الجارية الآن تتضمن 43 مشروعا مختلفا لا تهدف إلى المحافظة على المآثر التاريخية فقط، وإنما تهدف أيضا إلى إحياء اقتصاد الجهة وتقوية البنية التحتية و تنمية المؤسسات بهدف ترسيخ وتثبيت الحياة الثقافية للمدينة.

فمستوى أشغال الترميم ضخم بجميع المعايير ويهدف بالأساس إلى الترميم الكامل وإعادة تصميم مدينة عدد سكانها 700.000 نسمة، ويقدر الغلاف المالي لهذه العملية لأكثر من 600 مليون دولار أمريكي. كما تحتاج العملية لمدة 20 سنة أخرى للانتهاء من جميع الأشغال.

في قلب كل هذه الأشغال هناك رجل قصير القامة في الأربعين من عمره، ذو ابتسامة سريعة ويتميز بروح السرعة وبعد النظر.

عبد اللطيف الحجامي –المدير العام لمشروع الترميم والمعروف رسميا بوكالة التخفيض من الكثافة السكانية وإعادة الاعتبار لمدينة فاس (ADER-FES). الحجامي مهندس معماري من أبناء مدينة فاس، شغل هذه الوظيفة منذ تأسيس الوكالة قبل 10 سنوات.

يعتمد الحجامي في عمله على إدارتين هامتين، واحدة توجد في بيت تاجر قديم توجد بالقرب من قصر الجامعي في فاس البالي. أما الثانية فهي عبارة عن فيلا خاصة بالمدينة الجديدة، يشتغل الحجامي عادة بمعدل 18 ساعة في اليوم. وكان يقول عن عمله : "لكي تعرف شيئا كهذا عليك أن تعايشه". فالمهام التي كان يقوم بها تتجاوز مهام أي مهندس معماري آخر. فهو يدير طاقما مكونا من 160 عاملا وصانعاً تقليدي، إضافة إلى مهندس وثلاثة مهندسين معماريين وأركيولوجي ومتخصص في الجغرافية ورجل قانون، علاوة على مجموعة من التقنيين في الحاسوب والأرشيف.

مشروع الترميم استطاع تحديد 11 مدرسة عتيقة، 320 مسجد، 270 فندقاً، إضافة إلى أزيد من 200 حمام ومنزل أو أفران عمومية وكلها في حاجة إلى ترميم. إضافة إلى بعض البنايات ذات الشهرة العالمية : كجامع القرويين، والمدرسة البوعنانية، والساعة المائية، ونافورة النجارين، ومتحف النجارين بالإضافة إلى أماكن أخرى.

هناك مبان أخرى معروفة فقط لدى السكان المحليين والذين يشعرون بأنها تمثل مع ذلك مفتاحاً لجوانب الموروث الثقافي للمدينة.

"لقد حددنا جميع البنايات وليس فقط المآثر التاريخية" يقول الحجامي.

يعرف الحجامي وآخرون معه بأن المظاهر مهمة، فخلال القرن الماضي تعرضت العديد من المباني إلى التشويه بسبب زحف الحياة الحديثة –الأسلاك الكهربائية، الأضواء الكاشفة، إضافة إلى هوائيات التلفزيون. هذه الأشياء يتم إزالتها من واجهات الجدران ومن على السطوح المرممة للحفاظ على شكلها الأصيل.

الأسلاك الكهربائية ينبغي أن توضع بشكل تجعل سكان المدينة العتيقة يتمتعون مع ذلك بالوسائل العصرية مع مراعاة النمو المستقبلي للمدينة بشكل جيد.

يقول خبير اليونسكو أمبو : "إن العملية لتمثل – بفعل سعة نطاقها– واحدة من أبرز التحديات التي ينبغي للإنسانية أن تقوم بها إن هي أرادت أن تحافظ وتنمي ميراثها الثقافي في وجه سرعة المدينة الحديثة والتصنيع".

"إن هذا التحدي سوف يختبر جميع قدرات الإنسان وتخيلاته إلى أقصى حد" يضيف الخبير أمبو.

"لقد استطعنا أن نطور استراتيجية من أجل تحديد المخاطر والآثار" يقول الحجامي.

ويضيف : "إن المرء لا يمكنه أن يبدأ مشروع ترميم كهذا دون الأخذ بعين الاعتبار البيئة العامة، إننا نشتغل على مدينة حية وفي نفس الوقت على معلمة تاريخية".

أشغال الترميم بدأت بالفعل في العديد من أهم المواقع –كالمساجد والمدارس العتيقة في فاس البالي، بما في ذلك المدرسة البوعنانية، الساعة المائية وجامع القرويين وفندق النجارين، إضافة إلى مجموعة من المنازل الأثرية في طور الترميم والإصلاح باستعمال مواد وتصاميم عتيقة.

ووعيا منه بما قد تحدثه هذه الأشغال من انقسامات فالحجامي مصمم على المضي قدما بواجباته كمدير لمشروع الترميم وكواحد من أبناء فاس.

"هذه ليست فقط قضية ترميم مآثر تاريخية يقول الحجامي" وإنما هي أيضا عملية تهتم بتحسين ظروف حياة ساكنة مدينة فاس إنه مشروع اجتماعي ترميمي في نفس الوقت".

ترجمة : ذ. عبد القادر لوكيلي

عبد اللطيف الحجامي رحمه الله رائد معماري من رواد نهضة أمتنا

أ. د. المعماري العربي بوعياد

انتقل إلى الرفيق الأعلى أخونا المعماري عبد اللطيف الحجامي يوم الثلاثاء 8 محرم 1432هـ الموافق لـ 14 دسمبر 2010م في سن يناهز ستا وخمسين سنة، بعد عناء مع مرض عضال دام أكثر من السنتين. وأحسب أن الأخ الزميل عبد اللطيف الحجامي، من جيل الصحوة، ممن أسهموا في إيقاظ الأمة والدعوة للإسلام في بلاده وفي الغرب أيضاً. وأرجو أن يكون ممن حققوا قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ احْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّه وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المسلمِينَ﴾(فصّلت : 33). وهي مواصفات للمؤمنين الدعاة(1) أركز على الثالثة منهن لما لاحظنا عند الزميل اللطيف عبد اللطيف من إبراز لشخصيته الربانية ولو في أحرج المواقف معلنا على الدوام : ﴿إِنَّنِي مِنَ المسلمِينَ﴾.

وأحسب أن لأخينا عبد اللطيف أجر السالكين والواصلين إن شاء الله، لكونه أسهم في تعبيد الطريق، إذ أنه ترك بصماته في عدة مجالات، وبخاصة في مجال تخصصه. وهذا الذي سأعمل بحول الله على تبيانه في ما تبقى من هذه الكلمة.

لقد جعل الله لأخينا الفقيد نوراً يمشي به في الناس منذ عودته إلى بلده بعد تخرّجه في نهاية السبعينات. حيث أنه انضم إلينا مباشرة، مع الأخ الحبيب أحمد العراقي، لنشكل النواة الأولى المتخصصة في العمارة الحاملة لهَمّ الإسلام. وكيف لا وهو سليل الدوحة النبوية الشريفة، وحفيد المجاهد الكبير الفذ سيدي محمد الحجامي الذي كان رائداً للجهاد ضد الوجود الاستعماري، وابن الشيخ الجليل العالم الفقيه الزاهد سيدي أحمد الحجامي رحمة الله عليهم جميعاً.

وكانت أول فرصة تضافرت فيها جهودنا في إطار هذه النواة، إعداد ورقة لمؤتمر مصيري نظمته اليونسكو مضطرةً في مدينة لاهور الباكستانية.

ذلك أنه، رحمه الله، رفض معنا إسقاط بنود الميثاق الدولي لحفظ النصب التذكارية والمواقع التاريخية وترميمها الذي أقره المؤتمر الدولي الثاني للمهندسين المعماريين والفنيين في الآثار التاريخية بالبندقية سنة 1964، والذي تمّ اعتماده في عام 1965(2).

وبالطبع، كان لفقيدنا دور فعال في إعداد مداخلة المؤتمر، المعدّة باللغة الفرنسية، والتي تركت آثارها العميقة بين الخبراء وبخاصة الباكستانيين منهم، الذين حاولوا معنا آنذاك صد ما كان يتهدد مدننا التاريخية.

ثم تقلد فقيدنا مسؤولية إدارة وكالة الحفاظ على مدينة فاس العتيقة، وبالرغم أنها كانت خلال عشر سنين دون صلاحيات أو إمكانيات كافية، إلا أنه استطاع، رحمه الله، أن يفتح من خلالها المجال للبحث في ميدان العمارة وتراثها، استوعبت الطلبة المغاربة والباحثين الأجانب. وبعد أحداث 1990، والتي اعتُبرت فاس مركزا لانطلاقتها، أفضت تفاعلات هذه الأحداث إلى إنشاء وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس التي استمر أخونا عبد اللطيف رحمه الله، وهو في إدارتها، من الاستفادة من الطاقات المتوفرة حوله في إنشاء مختبر معتمد محليا وعالميا للدراسة المعمارية وتراثها.

كما شارك فقيدنا في إعداد البرنامج التكويني للمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية التي أنشئت سنة 1980، حيث درس فيها منذ انطلاقتها، فكان أستاذاً نموذجياً يرافق الطلبة ويفتح لهم مجال السؤال والمعاينة لكل إشكالات العمارة، ميسّراً لهم البحث في المجالات المتنوّعة المرتبطة بها. واستمرت مسيرته في هذه المؤسسة التكوينية إلى أن عمل البعض على إقصائه من التدريس في منتصف التسعينات.

ثم بعدها ببضع سنين تم إبعاده ظلماً من الإشراف على وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس. لكنه تابع مسيرته النيرة مؤطراً مشاريع كبرى في العمارة والتعمير، وفي حفظ بناءات ومواقع تاريخية وترميمها ورد الاعتبار لها، مع زملاء من المغرب وباقي البلاد العربية يقدرونه حق التقدير.

لقد أمضى حياته في مجال تخصصه، رحمه الله، لإحياء العمارة الإسلامية من خلال تراثها. مؤكداً أن تراث عمارة المسلمين يتميّز عن غيره بحيويته لكونه ذاكرة في الزمان والمكان، لارتباطه بثوابت الحضارة وتفاعلاتها المادية والمعنوية.

وقد كان فقيدنا مستوعباً للأبعاد المؤسسة لعمارة المسلمين لما تحمله من خطاب حضاري يُعبر عن هويتهم ما احتُرمت مبادئ الإسلام وتوجيهاته(3). ويتجلى دور أمثال فقيدنا عبد اللطيف، رحمه الله، فيما كان يحمل من هم في مجال تخصصه محاولاً جهده أن يمرر هذا الهم للطلبة والباحثين في المدرسة وفي الوكالة وفي كل مناسبة أتيحت له في الداخل والخارج. فقد كان بالفعل رائداً من رواد جيل الصحوة، حريصاً على أن تؤدي حضارة المسلمين من جديد رسالتها بين الأمم والحضارات، وتُحقق حضورَها في العالم بالفعل العمراني على أوسع نطاق وفق قدراتها الخاصّة، وتنجز حضورَها في العصر بالفعل التاريخي على أعمق وجه وفق قيمها الحية(4).

وتوافقاً لذلك، اجتهد رحمه الله في إطار تخصصه، على أن يعكس المعماري المسلم المعاصر هذا الحضور الحضاري معبراً ومعلناً عن هويته باعتزاز ومجسداً بلسان حاله أيضاً وعلى الدوام :﴿إِنَّنِي مِنَ المسلمِينَ﴾.

لقد تميّز أخونا عبد اللطيف عن جلّ المعماريين المسلمين حالياً. ذلك أن غالبيتهم لا يعرفون المعلم محمد ابن الرامي التونسي مثلاً ولا عيسى بن موسى التطيلي الأندلسي ولا من أبدع العمارة قبلهما من أمثال الهياج بن مالك مخطط الكوفة أو التابعي حنّاش بن عبد الله الصنعاني(5)، في حين أن أمثال المعماريين الغربيين غير مجهولين لديهم.

فإذا تساءلنا عن معماري اليوم في بلاد المسلمين :

■ أي خطاب وأي أسلوب وَجَب عليه امتلاكه ؟

■ من أين يستلهم أفكاره وتصوراته؟

■ وما هو دوره في أوضاعنا الحالية وما هي رسالته؟

وجدنا أن الفقيد، رحمه الله، حاول جهده تجسيد أجوبة لهذه التساؤلات ضمن مشروع مجتمعي شامل، في ظروف تعتريها تيارات فكرية معاصرة في الميدان معتزة بما عند الغير، جاهلة لهويتها ومكونات حضارتنا(6).

ومن ثم، فقد حمل فقيدنا همّ تأسيس هذا المشروع الشامل الذي يتجاوز الشكلي إلى الجوهري، وعمل على اعتبار المقاصد في متطلّبات مهنته، وملاءمة هذه المتطلّبات مع المقاصد. كما تميّز رحمه الله بامتلاك رؤية إصلاحية ناصحة تتسم بالشمول وبمنهجية المقارنة في معرفة الذات الحضارية ومعرفة الغير. فقدّم رحمه الله مظهرا متميّزا للمعماري المسلم، مظهر المعماريِّ النصوحِ، المستشار، المعماري المربي، القريبِ من السكان والمعَضَّدِ بهم، المعماري المواطنَ، الفاعل من بين الفاعلين الآخرين في عالم الثقافة بحكم مهارته وعلمه وكفاءته.

ولئن فارقنا زميلنا عبد اللطيف الحجامي بجسده إلى جوار ربه، فإن روحه حاضرة معنا على الدوام بما حمله من هم رسالة المسلم الصادق في ميدان عمارة المسلمين. فلنعش على ما مات عليه، كل في ميدان تخصصه، لنضمن حياة أبدية سرمدية وصدقة جارية لا تنطفئ جدواها مع خروج أرواحنا.

اللهم تغمد أخانا عبد اللطيف الحجامي برحمتك التي وسعت كل شيء والتي هي خير مما يجمعون، واحشره في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واجعله من رفقاء نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم في جنة النعيم، آمين.

والحمد لله رب العالمين

1- لقد أفلح جيل الصحوة في إيقاظ الأمة وتوجيهها نحو نهضة وسطية تعطشت لها البشرية منذ دخلت في دهاليز حضارة الحداثة، وها هو الإسلام يدخل اليوم قلب الغرب الذي انتصب على الدوام وبإصرار لعدائه منذ ظهوره. وها هم مسؤولو الغرب يفقدون صوابهم لمّا وجدوا هذا الدين بين ظهرانيهم، فبدؤوا ينعتونه بما ليس فيه ويروّجون لذلك في أرجاء الأرض. وهم في الحقيقة يسهمون في لفت نظر البشرية جمعاء إلى وجود الإسلام من حيث لا يشعرون، جرياً لسنة الله تعالى التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وتحقيقاً لقوله جلّ وعلا : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء : 105).

2- بما أن هذا الميثاق أُقر في أوروبا لإعادة بناء ما خلّفته الحرب العالمية من دمار في مدنها التاريخية وترميمها، فقد بيّن فقيدنا، في إطار تلك النواة، عدم ملاءمة بنود ميثاق البندقية المذكور للحفاظ على العمارة والمدن التاريخية عند المسلمين عامة ومدينة فاس الأصيلة المقصودة بالبحث والدراسة آنذاك، على الخصوص. وهذا الأمر راجع لعدة اعتبارات، أهمّها أن فنون البناء وحرفه ما زالت قائمة عند المسلمين، خلافا لوضعية الغرب الذي تشكل فيه الميثاق والذي اندثرت فيه هذه الفنون والحرف. وقد تمّ التركيز في الورقة المعدة لمؤتمر لاهور على إبراز تميّز عمران المدينة الإسلامية وعمارتها وواقع تراثها الحي، مما جعل الحاجة ماسةً لإنشاء ميثاق يلائمها ويبعدها عن اعتماد المعاهدات والمواثيق الأخرى التي قد تؤدي إلى إتلاف التراث البشري الممثل في المهن الأصيلة والحرف المتصلة بها.

3- المفروض أن تكون العمارة ملتقى العلوم الدينية والإنسانية والتقنية والآداب والفلسفة والفكر، إذ أن لها رسالة ذات بُعدين اثنين :

1- يعبّر البعد الأول، الجوهري، عن الهوية الحضارية في البناء ؛

2- ويعبّر البعد الثاني، المادي، عن الفترة الزمنية التي تأسس فيها البناء، وعن انتسابه المحلي والقومي.

ولقد حملت العمارة هذه الرسالةَ المزدوجةَ في إطار الحضارات السابقة بما يُعبّر عن البعدين المتكاملين للقيم. إلا أن الغربَ قدّم نشازاً منذ نهضته وما سمّاه بعصر التنوير، حيث انحصرت رسالة العمارة عنده في البعد الزمني وحده مقتصرةً على الجانب المتغيّر من القيم. وتمّ بذلك، لأول مرة في تاريخ البشرية، تغييبُ البعدِ المعبرِ عن هوية العمارة الحضارية وتجريدها من قيمها الجوهرية، حيث اختُزلت رسالة العمارة، وما تقوم عليه من وظيفة ومتانة وجمال، في البعد المادي فقط والقيم المرتبطة به.

4- عموماً، فإن تحقق الحضارة بالحضور في المكان هو نهوضها بالفعل العمراني على أوسع نطاق، كما أن تحققها بالحضور في الزمان هو نهوضها بالفعل التاريخي على أعمق وجه. وبما أن الوحي هو المرجع المحفوظ والمسدد للمسار الدائم للأمة ولو انحصرت مسيرة حضارتها، فإن طائفة من أمتنا غيرِ مبدلة قائمة على الحق تؤدي ما تطيقه من الشهودِ والحضور رغم غياب الفعلين على المستوى الأرْم، "الفعل العمراني" و"الفعل التاريخي".

5- نقل عبد الرحمان حجي في تاريخ الأندلس من الفتوحات إلى سقوط غرناطة (دار القلم، دمشق 1970) عن البلاذري والطبري، أن هذا التابعي هو مصمم مساجد الغرب الإسلامي ومنشئها خلال الفتوحات، وهو من صنعاء الشام لا اليَمن، شارك فيها بجانب رُفيع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وآخرين، ثم عبر مع موسى بن نصير جبل طارق. توفي رحمه الله سنة 100 هجرية بعد أن بنا جل مساجد إفريقية وشارك في بناء مسجد غرناطة الذي تحول فيما بعد إلى المسجد الجامع في المدينة، وبنى المسجد الكبير لألبريا، كما أنه صمم قبلة مسجد سرقسطة وحوّلها.

6- بيد أن المعماري هو قبل كل شيء رجلُ حضارة وجب أن يحمل قَلَمُه عند كل خط فكرة. فالمعماري يصنّف العمارة ويفكر بالعمران. ما يسطره قلمه يحمل تصوراً لكونه يبدع العمارة ويصوغها حسب رؤيته. ولما كان الكاتب يكتب كلمة تحمل فلسفة ورؤية للعالم والمجتمع ، فإن المعماريَّ بدوره ينشأ عمراناً حاملاً لفلسفة ولرؤية للعالم وللحياة، محورُها الإنسان... إن التقنيةَ التي يملكها المعماري والشكل الذي ينتج منها، تخدم في الواقع فكرةً وتُسهِم في رؤيته للعالم وفي مشروعه للمجتمع.

لقد أمضى حياته في مجال تخصصه، رحمه الله، لإحياء العمارة الإسلامية من خلال تراثها. مؤكداً أن تراث عمارة المسلمين يتميّز عن غيره بحيويته لكونه ذاكرة في الزمان والمكان، لارتباطه بثوابت الحضارة وتفاعلاتها المادية والمعنوية. وقد كان فقيدنا مستوعباً للأبعاد المؤسسة لعمارة المسلمين لما تحمله من خطاب حضاري يُعبر عن هويتهم ما احتُرمت مبادئ الإسلام وتوجيهاته

عدد خاص عن المرحوم المهندس المعماري عبد اللطيف الحجامي

رائد التراث العمراني : المرحوم عبد اللطيف الحجامي

د. حسن رضوان
رئيس قسم الهندسة المعمارية جامعة الشارقة

عند التحاقي بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط سنة 1988م تلقيت صدمة حضارية مصحوبة بشعور حاد بالغربة وأنا في بلدي المغرب، الذي كنت أحسبه بلد التراث العريق. وهو بحمد الله تعالى كذلك. لكن واقعه المعماري التاريخي شيء، وما يوجد في المدرسة شيء آخر.

فأنت تحس وكأنك في فرع من فروع مدارس فرنسا، حيث أساتذتي المغاربة مفرنسون أكثر من الفرنسيين؛ بل إن النطق بلغة الضاد كان غير مرحب به، وقد يكون سببا في احتقارك واعتبارك مفتقرا إلى ما يليق بعصر الحداثة.

حينئذ بدأت رحلتي في البحث عن رجال العمارة المتشبعين بروح التراث، الذين يفتخرون -بعلم وكفاءة عالية- بالانتماء إلى حضارة ممتدة في عمق التاريخ. وقد كان من الدوافع الأساسية إلى هذا البحث ارتباطي وشغفي بأي شيء له علاقة بالعمارة أو العمران المغربي الذي كبرت في أحضانه بمدينة فاس الأصيلة.

وبعد سؤالي المتواصل كان الجواب دائما عليك بالأستاذ عبد اللطيف الحجامي الذي كان يدرس طلبة السنة الخامسة وليس الأولى.

ورغم حداثة عهدي بالمدرسة لم أتردد في أن أزور هذا الأستاذ في مشغله المسمى "مشغل التراث". وعند أول زيارة له بادرته بهذا السؤال: ما مصير من أتى لكي يدرس عمارة المغرب وليس عمارة فرنسا؟ فأجاب مبتسما : عليه بمشغل التراث، وطلب مني الالتحاق بفصله رغم أنني كنت في السنة الأولى.

وهكذا وللوهلة الأولى اكتشفت أن هذا الأستاذ يعبر فعلا عن بلده الأصيل المغرب بتواضعه وبعده الرسالي الواضح وحكمته البالغة، وبحضوري لأولى محاضراته بدأت رحلتي في أحضان التراث مع المربي الفقيد عبد اللطيف الحجامي.

وحيث إنه يصعب الإلمام بكل إنجازات المرحوم العلمية والإنسانية فإنني سأحاول عرض بعض خصوصيات أعماله وبعض مميزات شخصيته الفريدة.

● **عبد اللطيف المعماري :** رغم حداثة تخرج المرحوم كمعماري من أحد أشهر مدارس فرنسا وفي مرحلة كانت فيها البلدان العربية الإسلامية في حاجة ملحة لعقول أبنائها خصوصا بعد مرحلة الاستعمار ومحاولة بناء الذات أخذ الأستاذ الحجامي على عاتقه مسؤولية إنقاذ مدينته: مدينة فاس، وفاء لها وللحضارة التي تنتمي إليها.

ولقد كان تحمله لهذه المسؤولية بالمستوى الذي جعل منه أحد أقطاب التراث العالميين، وذلك انطلاقا من جعله قضية إحياء روح فاس قضية إنسانية عالمية، تعبر عن روح حضارة ومصير أمة، وصارت هذه المدينة بذلك مسرحا كبيرا لترسيخ استمرارية التراث الحضاري الذي هو أساس بناء هوية الأمة.

● **عبد اللطيف المدرسة :** كان المرحوم على علم أنه إذا تم الاعتماد فقط على موظفين لا يمكنه أن ينجح في مشروعه الحضاري ولهذا كان يقول دائما إن طلابه هم بمثابة جنوده، وفعلا أسس المرحوم مدرسة تراثية بامتياز. وكان مفهوم المدرسة الفكرية بالنسبة إليه يتجلى في أن الطالب ليس فقط عابر سبيل بل ينبغي له أن يشعر بانتمائه إلى منظومة نظرية ونسق فكري يتبناه في حياته الفكرية والمهنية انطلاقا من مبادئ راسخة. وقد كان ذلك مما يؤكد عمق أفكار الأستاذ وعظم أهدافه الرسالية التي لم تكن نابعة من الهوى بل تقف وراءها حكمة وبعد نظر يتجاوز حيز الزمان والمكان.

وربما يظن البعض بأن مدرسة المرحوم الحجامي كانت تستقطب من المتخصصين المحترفين من مؤسسات عالمية كـ"اليونسكو" و"الايكروم" والبنك الدولي، فحول بذلك مسألة الحفاظ على فاس من قضية محلية بمدينة صغيرة إلى قضية دولية تستدعي الاحترام والتقدير، بالنظر إلى مستوى الاحتراف في المنهج والجدية والدقة في التطبيق.

وإن مما ينبغي تسجيله بهذه المناسبة اعتراف البنك الدولي الذي قدر بأن تجربة فاس من التجارب الفريدة جدا يمكن اعتبارها قدوة يستفاد منها في البلدان الأخرى.

وإذا أردنا أن نلخص فلسفة المرحوم التراثية انطلاقا من مصاحبته التي دامت حوالي العقدين من الزمن يمكن القول إنه كان يبحث في الحجر عن روح البشر، وفي حين كانت مدارس الحفاظ تتخصص في العمارة المجردة وتحفظ الآثار إلى حد الوثنية والتقديس، كان المرحوم يركز على إحياء الإنسان الذي هو صلب التراث مما جعله من أحد مؤسسي فكر التنمية في مجال الحفاظ على التراث الحي.

هذا البعد الجديد أعطى لمفهوم التراث دفعة قوية ليكون مركز المشاريع المستقبلية عوض أن يجمد في المتاحف، وأعطى دعما كبيرا لترسيخ استمرارية التراث الحضاري الذي هو أساس بناء هوية الأمة.

● **عبد اللطيف المدرسة :** كان المرحوم على علم أنه إذا تم الاعتماد فقط على موظفين لا يمكنه أن ينجح في مشروعه الحضاري ولهذا كان يقول دائما إن طلابه هم بمثابة جنوده، وفعلا أسس المرحوم مدرسة تراثية بامتياز. وكان مفهوم المدرسة الفكرية بالنسبة إليه يتجلى في أن الطالب ليس فقط عابر سبيل بل ينبغي له أن يشعر بانتمائه إلى منظومة نظرية ونسق فكري يتبناه في حياته الفكرية والمهنية انطلاقا من مبادئ راسخة. وقد كان ذلك مما يؤكد عمق أفكار الأستاذ وعظم أهدافه الرسالية التي لم تكن نابعة من الهوى بل تقف وراءها حكمة وبعد نظر يتجاوز حيز الزمان والمكان.

وربما يظن البعض بأن مدرسة المرحوم الحجامي كانت تستقطب من الطلاب المغاربة والمسلمين منهم فقط. وهذا خطأ شائع، فلقد تتلمذ على يد الفقيد طلاب من شتى أنحاء العالم ومن مختلف الديانات والأجْناس فألقى محاضرات في أرقى الجامعات في العالم كهارفارد وأوكسفورد ومعهد الأمير تشارلز.

إن الفقيد الأستاذ الحجامي يعتبر نموذجا للمربي والخبير الذي تحتاج إليه الأمة الإسلامية اليوم. كما يعتبر نموذجا للعالم الذي يكون سفيرا مقتدرا إلى العالم معتزا بعلمه وحضارته وقادرا على التواصل والإيصال باللغة المناسبة والأسلوب المناسب.

وبذلك أصبح الفقيد هو الخبير المغربي الوحيد المعتد به عالميا في مجال التراث، فاسمه كان دائما واردا في المحافل الدولية بالنظر إلى أهمية تدخلاته العلمية وتميز فكره المعماري الثاقب. وإن من بين الشخصيات العالمية التي انبهرت بأفكاره الأمير تشارلز والرئيس السابق للبنك الدولي جيمس وولفونسونغ.

● **عبد اللطيف القائد :** لا عجب أن تجد في شخصية المرحوم بالإضافة إلى ما سبق -من علمه وحكمته وذكائه الثاقب وتفانيه في العمل واعتزازه بتراثه- عدة سمات للقائد الناجح خصوصا أنه ينحدر من عائلة عرفت بالعلم والصلاح والجهاد والإشراف على تدبير شؤون الزاوية الحجامية. فكان أن اكتسب من أسرته ما يؤهله لأن يكون قوي الشخصية يمتلك قدرة كبيرة على الإقناع والمفاوضة.

وكان مما أضفى على هذه القدرة الاحترام والتقدير، وفاؤه لمبادئه مهما حلّ به من تحديات أو نزل به من صعاب وكان ذلك برهانا على اطلاعه العميق على خبايا تسيير وإدارة شؤون الأنام من والده وجده العالمين الجليلين.

وإن مما يؤكد ذلك مصاحبته الدائمة لوالده المرحوم الشيخ العالم المجاهد أحمد الحجامي، وهي مصاحبة كما تدل على بره بأبيه تدل على حرصه المستمر في التزود والتلقي.

ومن عجيب ما أحفظه عنه أنه كان رحمه الله تعالى لا يقبل من قائل أن يقول: لا يمكن فعل هذا أو لا أستطيع فعل ذلك؛ لأن كل شيء ممكن بالنسبة إليه، ولأن الخلل يكمن في الإنسان لا في الأشياء والأعمال، وبهذا صنع من مشروع المحافظة على فاس مشروعا رائدا لأنه لم يعتمد يوما على إمكانات الدولة المحدودة بل كان يجد دائما الموارد المالية والبشرية بالبحث عنها في الوطن وخارج الوطن، مما يبرهن على شخصيته الفذة الرائدة الفعالة التي لا تفتر في البحث عن الفرص والوسائل دون النظر إلى المصلحة الشخصية المحدودة التي هلكت البلاد والعباد.

● **عبد اللطيف العالم :** لقد صحح المرحوم الحجامي رحمه الله تعالى بتجربته الرائدة مفهوم المهندس المعماري ووسع في دلالته، لنجد أنفسنا أمام المهندس العالم الملم بعلوم عمارة الأرض وفلسفتها ومقاصدها، المشبع بروح حضارية عظيمة. فتجاوز بذلك ضيق التخصصات العلمية الحديثة وقدم مثالا حيا للعالم المسلم الموسوعي.

لقد كان حديثه في الهندسة يتجاوز الحدود الضيقة في التخصص للتعبير بشكل واضح عن وضع العمارة في النسق القرآني لعمارة الأرض بشتى شروط الاستخلاف في الأرض مما أعطى لمعالجته العلمية بعدا فريدا أسهم به في تنبيه علماء الشريعة لضرورة العناية بعلوم البنيان والعمران التي اختفت عن الأنظار أزمانا.

وكان من حرصه على الإسهام بحظ وافر في ذلك اهتمامه بالبحوث إشرافا وتوجيها وذلك بتحقيق كتب النوازل والكتب الشرعية المتعلقة بأحكام البناء والبنيان. وبهذا رسخ العالم الجليل الحجامي فكرا جديداً للعمارة في العالم العربي الإسلامي لتمكين جيل جديد من المعماريين وجعلهم قادرين على فهم شروط عمارة الأرض للتمكن من الوصول إلى كمال العمران على النهج القرآني والنبوي.

ولقد كان رحمه الله تعالى حريصا على تنزيل تلك العلوم إلى واقع العمران وربطه النصوص بتراث المدينة لاستنباط الحلول مما أعطى لأعماله بعدا حيا وعمقا اجتهاديا، ومن أقواله في هذا المجال : "الميدان يحدد الأهداف والمنهجية".

هذه بعض خصائص وفضائل أستاذنا الفاضل عبد اللطيف الحجامي أردت من خلالها أن أعبر عن أنه ما زال حيا بيننا بعلمه وعمله. نسأل الله العلي القدير أن ينزل عليه شآبيب رحمته ويسكنه فسيح جناته وأن يتغمده برحمته التي وسعت كل شيء.

> يمكن القول إنه كان يبحث في الحجر عن روح البشر، وفي حين كانت مدارس الحفاظ تتخصص في العمارة المجردة وتحفظ الآثار إلى حد الوثنية والتقديس، كان المرحوم يركز على إحياء الإنسان الذي هو صلب التراث مما جعله من أحد مؤسسي فكر التنمية في مجال الحفاظ على التراث الحي.

> لقد صحح المرحوم الحجامي رحمه الله تعالى بتجربته الرائدة مفهوم المهندس المعماري ووسع في دلالته لنجد أنفسنا أمام المهندس العالم الملم بعلوم عمارة الأرض وفلسفتها ومقاصدها، المشبع بروح حضارية عظيمة. فتجاوز بذلك ضيق التخصصات العلمية الحديثة وقدم مثالا حيا للعالم المسلم الموسوعي.
>
> لقد كان حديثه في الهندسة يتجاوز الحدود الضيقة في التخصص للتعبير بشكل واضح عن وضع العمارة في النسق القرآني لعمارة الأرض بشتى شروط الاستخلاف في الأرض مما أعطى لمعالجته العلمية بعدا فريدا أسهم به في تنبيه علماء الشريعة لضرورة العناية بعلوم البنيان والعمران الذي التي اختفت عن الأنظار أزمانا.

حقا لطيف

فؤاد السرغيني
مهندس معماري

لا تزال تكل الصورة لاصقة بذهني وبمخيلتي لذلك الشاب الوسيم واللطيف وهو يرافق أباه مترجلين بخطى بطيئة وثابتة أو على متن سيارة رونو 16 . ترسخت هذه الصورة لكثرة مشاهدتها حية ومتوقدة عبر الأيام والسنين بحي بورمانة بفاس، فكانت لنا أروع مثال للبر بالوالدين وقد كنت آنذاك في مراحل الثانوية من الدراسة بثانوية مولاي سليمان. وفي تلك الأيام نذكر أنه بدأ الحديث عن إنقاذ فاس ومنظمة اليونسكو في الأوساط الاجتماعية والإعلامية فلم نعر ذلك اهتماما ونحن أبناء المدينة الجديدة بعيدون عن الفضاءات التراثية للمدينة القديمة ومعانيها الحضارية والثقافية. و حينها تكتمل بعض أطراف المشهد: ذلك الشاب عبد اللطيف ابن الفقيه هو المسؤول عن برنامج إنقاذ فاس.....

كانت تلك أولى المعرفة بابن الفقيه عن بعد ولن يتم البدء في التعرف عليه حقيقة إلا من خلال دروس الهندسة المعمارية الإسلامية في السنة الثالثة بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية. وهناك يتم الاكتشاف لأستاذ بارع متمكن لغة وعلما وفكرا وأدبا...

كانت دروسه في الهندسة الإسلامية تحظى باهتمام بالغ من طرف الطلبة والطالبات الذين يلحون على حضورها والاستمتاع بها ولو بعد طول انتظار ريثما يخلص من مسؤولياته الإدارية والمهنية.

كان أكثر ما يشدنا ونحن طلبة موسوعية فكره وعلمه التي كانت تجمع بين منابع الحضارة العربية والإسلامية ومختلف العلوم الإنسانية المعاصرة إلى جانب تمكنه من أهم التيارات الفكرية الغربية في علاقتها خصوصا مع قضايا العمران والتعمير.

المحطة الموالية مع الأستاذ عبد اللطيف الحجامي ستكون في مشغل التراث في السنة الخامسة من المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية ، وفي هذه المحطة سيتلاءم الفكر والتكوين الأكاديمي مع الواقع حيث سيكون المختبر بمدينة فاس العتيقة ثم حي البيازين بغرناطة. هنا وهناك يطلق العنان للطلبة للدرس والتحليل والاستخلاص ثم المبادرة والإبداع... لنتهيأ بعد ذلك لآخر مرحلة للتكوين بالمدرسة أي الاستعداد للبحث لنيل شهادة المهندس المعماري. إذاك يصبح الأمر ، أكثر جدية وكما يقال يجب الاستيقاظ باكرا للعمل مع الأستاذ في مشروع بحث الدبلوم.

كنا ستة طلبة (4 طلبة وطالبتان) انقسمنا إلى مجموعتين فكان التوجه إلى موضوعين عملاقين لم يستكثرهما علينا: المدن العتيقة بالمغرب والعمارة المعاصرة بالمغرب. فكانت رحلة شاقة ومتعبة وممتعة في نفس الوقت، حظينا فيها بالنهل من مناهج الأستاذ عبد اللطيف العلمية والمعرفية، فكان يقصر علينا المسافات بتمكيننا من مكتبته ووثائقه الخاصة وبطرحه علينا لنظرياته وتصوراته العلمية والفكرية لتطويرها واستثمارها في بحوثنا دونما بخل أو تحفظ هدفه في ذلك فتح الآفاق العلمية والمعرفية للطلبة الباحثين. فكان خلال هذه المرحلة رحمه الله غزير العطاء بوقته ليله كنهاره، وماله يسيره وكثيره، وبيته على سعته أو ضيقه، ناهيك عن علمه باتساع آفاقه ومداركه. هكذا كان مع عشرات الطلبة والطالبات الذين كانت لهم الحظوة في تأطيره لبحوثهم وأعمالهم. وهنا نتذكر جوابه لمحاوريه عندما يسألونه لم لا تدون وتنشر وتؤلف حول أفكارك وقد سحرهم ببيانها فيجيب متبسما هؤلاء طلبتي دونت عندهم أفكاري فاقرؤوها في أشخاصهم وناقشوهم فيها.

بعد إنهاء البحث و الحصول على دبلوم الهندسة المعمارية، كل من زملائي وزميلاتي أخذ طريقه المهني إلا أنا فوقعت في "فخ" مسقط رأسي مدينة المولى إدريس وحفيده عبد اللطيف وما زاد في الطين بلة أن زكى والدي رحمه الله هذا "الفخ" ولو أنه كان في حاجة إلي بمدينة الرباط التي انتقل إليها منذ بضع سنين. ذلك لما يعرفه عن أسرة الحجامي من فضل وعلم سيصيب لا محالة ابنه ولده، ولرضاه ورغبته لعملي بمدينة فاس التي كان رحمه الله يعشقها حتى النخاع. وياله من "فخ" جميل لو نصب لي مجددا لتعمدت الوقوع فيه، فما أروع أن يعمل الإنسان مع من يحب وفي المدينة التي يحب.

إن الشوط الثاني من الرحلة مع الأستاذ عبد اللطيف سوف لن يكون سهلا. فبمجرد حصولي على شهادة الهندسة المعمارية عُيّنت بعمالة فاس في إطار الخدمة المدنية فوضعت في إطار رهن إشارة الوكالة التي أحدثت حينها.

وهنا يتردد قلمي ، بل ترتبك أفكاري فتتزاحم الذكريات عن الأستاذ عبد اللطيف المدير المسؤول -le patron- والأستاذ المهندس والإنسان الصديق.... فتارة تبرز إحدى صفاته هذه في ظروف خاصة وتارة تلتئم جميعها فيصعب فصلها. **فإن اقتنع بالعمل تلألأت عيناه رضى وفرحا، وإذا لم يرض لمح وأشار، فإن تطور الوضع إلى تعطيل المصالح وفسادها أعرب وأبان بما يقتضيه الأمر من الحزم أو حتى الغضب لكن في منتهى الأدب والاحترام. و في كل الأحوال لا تفارقه ابتسامته** الساحرة و لا يتنازل عنها، فكانت له سلاحا يستخدمه مهما تغيرت الظروف و الأحوال. هكذا حاله في محيطه المهني القريب.

وفي مناقشاته ومفاوضاته كان يحسن الإنصات ويتقوى بالحجة والبرهان ويتمكن من فكر مخالفيه فينصفهم تارة ويجادلهم أخرى إلى أن ينتصر لقضية فاس قدر المستطاع والإمكان.

هكذا كان مناضلا من أجل هذه المدينة يجمع في ذلك بين أدوات العلم والتكوين والتدبير و التواصل والعمل الدؤوب. و خلال ما يربو على عقدين من الزمن قاد مشاريع رائدة لرد الاعتبار لمدينة فاس، تفرغ بعدها ، ليشع بتجربته على صعيد العالم العربي والإسلامي. وخلال هذه العشرية الأخيرة ظل متفقدا لمشروع فاس ويفرح لمكتسباته دون محاولة للتدخل في مجرياته اقتناعا منه بتطوير التجارب وتراكمها.

ظل كذلك وفيا لنهجه وقناعاته إلى أن فاجأه المرض، فتعامل معه بإيمان عميق ونفس شامخة ولسان حاله يقول لا اعتراض على قدر الله لكن لا تفريط في نعمة الحياة ولو قيد أنملة ،فسلك جميع السبل للاستشفاء والتداوي لكن دائما على طريقته الخاصة، بفهم عميق وإدراك شامل لوضعه الصحي حتى أنه كان يقدر مستوى طاقته ليقوم ببعض الأعمال. وأذكر في ذلك المجهود الذي بذله للتصوير مع فضائية ب ب س (BBC) لما تم اختياره من بين الأبطال العشرين للتراث عالميا فأبى إلا أن يتوج مدينته ومسقط رأسه بشهاداته في آخر أيام حياته.

غاب عبد اللطيف رحمه الله، وقد قصر عمره وعظم عمله ليظل مشعا على مدينة فاس، غاب وبقي حاضرا في قلوب أحبابه وأهله وأصدقائه وزملائه المهندسين الذين أبوا إلا أن يتذكروه في حفل تأبيني فريد، غاب وترك باقة من الذرية الصالحة تشع ابتسامات من ابتساماته وأخلاقا من تربيته.

هكذا عاش من أجل قضايا يؤمن بها متمسكا بدينه، خدوما لوطنه وأمته ومحبا لملكه، وقد خلف وراءه عملا وعلما غزيرا يستحق الجمع والتركيب لفائدة طلاب الهندسة والتعمير. تغمده الله برحمه وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

المهندس فؤاد السرغيني مع ا لمرحوم عبد اللطيف

كان أكثر ما يشدنا ونحن طلبة موسوعية فكره وعلمه التي كانت تجمع بين منابع الحضارة العربية والإسلامية ومختلف العلوم الإنسانية المعاصرة إلى جانب تمكنه من أهم التيارات الفكرية الغربية في علاقتها خصوصا مع قضايا العمران والتعمير

غاب عبد اللطيف رحمه الله، وقد قصر عمره وعظم عمله ليظل مشعا على مدينة فاس، غاب وبقي حاضرا في قلوب أحبابه وأهله وأصدقائه وزملائه المهندسين الذين أبوا إلا أن يتذكروه في حفل تأبيني فريد، غاب وترك باقة من الذرية الصالحة تشع ابتسامات من ابتساماته وأخلاقا من تربيته.

الأستاذ عبد اللطيف الحجامي ثروة وطنية فقدناها: قدرها الخارج وتجاهلها الداخل

د. أحمد الطلحي
باحث في البيئة والتنمية والعمارة الإسلامية

كان أول لقاء لي بالراحل الأستاذ المهندس عبد اللطيف الحجامي رحمه الله، في شتاء 1989، في فجر يوم بارد بمدينة فاس، حيث كنت قد طلبت من أحد الأصدقاء أن يرتب لي معه موعدا للقائه، لكي أستفيد من علمه في العمارة الإسلامية التي يعتبر رائدها الأول بالمغرب. ففي تلك الفترة كنت أتابع دراساتي العليا بالرباط في شعبة جغرافية المدن، وكنت أنوي التخصص في المدن العتيقة، وذاك ما كان بفضل الله وبفضل أستاذي الجليل عبد اللطيف الحجامي رحمه الله.

وعودا إلى اللقاء الأول الذي لن أنساه أبدا، حيث كان الموعد هو أن ألتقي به عند محطة لحافلات النقل العمومي، وأن أرافقه في السفر إلى الرباط بسيارته (إذ كان يتنقل إليها أسبوعيا لإلقاء دروسه بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية التي كان من أحد مؤسسيها)، وكنت حتى ذلك الحين لا أعرف وجهه، وكنت أعرف فقط أوصافه وأوصاف سيارته. وعندما جاء بسيارته إلى مكان اللقاء كان معه والده المرحوم الفقيه المجاهد الشيخ الحجامي، حيث كان يرافقه لأداء صلاة الفجر في المسجد باستمرار. واعتذر لي عن عدم السفر في الصباح وتأجيله إلى الظهر. وذاك ما كان، فتم التعارف فيما بيننا في الطريق وكان أول حديث بيننا عن موضوع العمارة الإسلامية، كما أن أغلب الدروس التي أخذتها منه عن العمارة الإسلامية كانت في الطريق أيضا، حيث رافقته مرات عديدة في أسفاره الأسبوعية إلى الرباط، كما كان يزورني في بيتي في الرباط (البيت الذي كنت أتقاسم سكناه مع طلبة آخرين) مثلما كان يزور طلبته الذين يشرف على بحوث تخرجهم. هذا فضلا عن أن بيته ومكتبه في فاس كان دائما مفتوحا للجميع، للطلبة ولطالبي المساعدة والمشورة...

كان رحمه الله حسن الخلق، وكان أول خلق اكتشفته فيه هو بر الوالدين، ثم الكرم حيث كان بيته بيت كرم، وكذلك المشي في حاجات الناس، وهي خصلة امتاز بها طوال حياته، إضافة إلى تواضعه.

كل ما سبق كان عن الأستاذ عبد اللطيف الإنسان، أما عبد اللطيف المهندس العالم والمثقف، فيمكن أن نقسم حياته العلمية والعملية إلى ثلاثة مسارات: المعماري؛ والمدرس؛ والباحث.

1- المعماري:

درس المرحوم الهندسة المعمارية في فرنسا، كما كان يتابع إلى جانب الهندسة المعمارية تكوينات أخرى، أساسا في العلوم الإنسانية، كانت -في نظري- السبب الرئيسي في تكوين "المهندس المثقف والمدرس والباحث"، بدون إغفال أنه أحد أبناء عالم مجاهد وعدد من إخوانه وأصهاره من العلماء والباحثين والمثقفين، الذين أثروا فيه تأثيرا كبيرا بدون شك.

بعد تخرجه، عاد إلى المغرب وعمل في البداية في المندوبية الإقليمية للسكنى والتعمير بفاس، ثم تم تعيينه على رأس مندوبية إنقاذ مدينة فاس ثم مديرا عاما لوكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

كان مشروع إنقاذ مدينة فاس لصيقا باسمه طيلة ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، فلا يكاد يذكر أحدهما إلا وذكر الآخر، وذلك مرده لكون الفقيد هو الأب الروحي لهذا المشروع المتميز، الذي للأسف لم يوفق لا هو ولا من خلفه في التمكن من تنفيذ جميع مقوماته ومشاريعه، نظرا لعدة أسباب لا يتسع المقال ولا المناسبة للحديث عنها الآن. ويكفي أن نعلم بأن المشروع في عمومه اعتبر مشروعا نموذجيا من قبل عدد من الهيئات والمؤسسات الدولية، خاصة أنه يخص أكبر مدينة عتيقة في العالم وهي مدينة فاس العتيقة. كما أن المشروع كان ولا يزال مدرسة ميدانية للباحثين والطلبة في العمارة الإسلامية وفي كيفية رد الاعتبار إليها.

في أواسط تسعينات القرن الماضي ترك المرحوم العمل في القطاع العام وفتح مكتبا للدراسات، وكان أهم ما أنجزه هذا المكتب هو اشتغاله على مشروع رد الاعتبار لمنطقة الدرعية التي تنحدر منها الأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية. هذا إلى جانب اشتغاله، طيلة حياته العملية تقريبا، كمستشار في مجال الهندسة المعمارية والتعمير، في الداخل والخارج، خصوصا فيما يتعلق برد الاعتبار للمدن العتيقة وبترميم المباني التاريخية.

2- المدرس:

لم تمض إلا سنوات قليلة فقط من تخرجه، حتى انضم إلى الكوكبة الصغيرة من المعماريين المغاربة الذين كان لهم الفضل في تأسيس المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية في بداية ثمانينات القرن الماضي، وهي المدرسة التي تخرج منها أغلب المعماريين المغاربة. وكان للفقيد تأثير كبير فيهم، بفضل خلقه الحسن وثقافته الواسعة وتمكنه من تخصصه واهتمامه المبكر والقوي بالعمارة الإسلامية. فلقد كان يشرف على "محترف التراث" (Atelier du patrimoine) الذي كان يتخرج منه المختصون في العمارة الإسلامية، إلى جانب تدريسه لمادة تاريخ العمارة.

لا يمكن فهم التراث المعماري العربي الإسلامي إلا بالرجوع إلى كتب التراث من كتب النوازل وفقه البنيان والمقاصد وكتب التاريخ...

وبالرغم من تركه للتدريس بالمدرسة في أواسط تسعينات القرن الماضي، فإنه لا تكاد تخلو أي جهة تقريبا من جهات المغرب، من تلاميذه الذين ولجوا الحياة العملية، في القطاعين العام والخاص، بل إن عددا منهم يعتلي الآن مناصب مهمة في الإدارة المغربية. والذين اختاروا العمل في القطاع الخاص يعدون من المعماريين المتميزين. وعلى سبيل المثال، في المصلحة الإدارية التي أشتغل بها، هناك سبعة من أصل تسعة من الزملاء المعماريين، تتلمذوا على يد المرحوم.

المهندس عبد اللطيف مع الأمير شارلز

وكان المرحوم أول من أدخل اللغة العربية إلى هذه المدرسة، بل أكثر من ذلك، كانت المراجع التي يعتمد عليها الطلبة هي كتب التراث التي يتعثر في قراءتها حتى المنتمين لكليات الآداب والعلوم الإنسانية والكليات التابعة لجامعة القرويين. كما أن عددا لا بأس به من البحوث التي أشرف عليها كانت بلغة الضاد. والأمر -ولو أنه كان مستغربا في ذلك الوقت ويتلقى معارضة واستهزاء من بعض زملائه في هيئة التدريس- إلا أنه علميا كان ذلك هو المطلوب، لأنه لا يمكن فهم التراث المعماري العربي الإسلامي إلا بالرجوع إلى كتب التراث من كتب النوازل وفقه البنيان والمقاصد وكتب التاريخ...

3- الباحث:

الأستاذ عبد اللطيف رحمه الله كان أحد رواد العمارة الإسلامية بالمغرب، حيث كان من الأوائل الذين اهتموا بها وبحثوا فيها، على المستويين النظري والعملي.

ولقد تميز في رؤيته ومنظوره للعمارة الإسلامية، وفي كيفية المحافظة على تراثها، وفي كيفية استفادة العمارة الحديثة من أصولها وتقنياتها.

كان المرحوم يشكل مدرسة خاصة في العمارة الإسلامية، إلا أنه وللأسف الشديد لم يدون نظريته ولا تجاربه. بل إنها يمكن أن تضيع إذا لم يقم تلامذته وأصدقاؤه وأسرته بكتابتها ونشرها، بعد البحث في مكتبته الخاصة، لعلنا نجد بعض المقالات والمحاضرات. وكنت أنوي أن أقترح عليه عند عيادتي له في عيد الأضحى، أن أساعده على التدوين من خلال تسجيل عدة مقابلات معه، ولكن أسرته الكريمة اعتذرت عن زيارته وحتى التحدث معه عبر الهاتف.

دعوة لتكريم الفقيد:

نعم، إن الفقيد لم يترك كتبا ولا مقالات منشورة يعرض فيها فكره، إلا أنه كون جيلا بأكمله يحمل هذا الفكر. وأقل شيء يجب على هذا الجيل كرد للمعروف، خصوصا الذين نهلوا من علمه عن قرب ولمدة طويلة، هو أن يقوموا بتجميع تراثه إن وجد، والعمل على نشره، ثم بالكتابة عنه وعن فكره. وهذا العمل لن يستقيم ولن يعطي ثماره المرجوة إلا من خلال إحداث مؤسسة تحمل إسمه، ولتكن "مؤسسة عبد اللطيف الحجامي للعمارة الإسلامية".

كان الفقيد ثروة وطنية، ولكنها كانت مقدرة ومكرمة في الخارج، بينما في الداخل تجاهلها الكثير أو كان يجهلها. وللأمانة فالمرة الوحيدة التي كرم فيها المرحوم في الداخل كانت في سنة 2009 من قبل المجلس الوطني لهيئة المهندسين المعماريين المغاربة. لذلك، فوفاء للفقيد ومن باب تكريم أولي الفضل والعلم، أتمنى أن يلقى مقترح المؤسسة الاستجابة من أغلب محبي الفقيد، وأن يعملوا على أن ترى النور في القريب العاجل، إن شاء الله تعالى.

رحم الله الأستاذ عبد اللطيف الحجامي، وأسكنه فسيح جنانه مع الصديقين والشهداء، آمين. والحمد لله رب العالمين.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....
العنوان الكامل : .....
.....
.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :
■ داخل المغرب : 60 درهما.
■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.
ترسل الاشتراكات باسم :
■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.
■ أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :
حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات
فاس - المغرب

الأستاذ عبد اللطيف الحجامي المهندس بين الوظيفة والرسالة

د. زكرياء المرابط
كلية الآداب -مراكش

الحمد لله رب العالمين ملء السماوات، و ملء الأرض، وملء ما شاء الله عز وجل من شيء بعد. وصل اللهم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

يقول الله عز وجل: ﴿من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾(الأحزاب :23).

حين مات أخي فريد بن الحسن الأنصاري -غفر الله له ورحمه- كنت أنوي الكتابة عنه؛ وفاء لصحبة عمرت سنين عددا؛ ولكن سبقني إلى ذلك إخوة كرام، فأحسنوا أيما إحسان في إبراز سيرة هذا العالم المجاهد الفريد، وقد نشرت جريدة المحجة العدد 330 خاصا عن المرحوم فريد.

وحين نعي لي أستاذي وشيخي المفضل بن أحمد فلواتي -غفر الله له ورحمه- كنت أود كتابة شهادة في حقه أيضا؛ اعترافا بفضل داعية حمل راية الدعوة صابرا محتسبا إلى أن لقي الله عز وجل؛ ولكن ناب عني أيضا إخوة أفاضل فصدقوا -فيما أحسب- فيما وصفوا به هذا الشيخ المفضل الجليل(انظر المحجة ع 342).

واليوم؛ وقد نعي لي أخي وأستاذي المهندس المعماري عبد اللطيف بن أحمد الحجامي-غفر الله له ورحمه- أجد نفسي متشوقا إلى تدوين هذه الشهادة؛ أداء لبعض الحق الذي له علي. سائلا الله عز وجل أن يجعلها في ميزان حسناته. ويغفر للسابقين وللاحقين ويرحمهم أجمعين.

كنت منذ فترة قصيرة في لقاء علمي؛ فسالت أحد الأخوة القادمين من مدينة فاس عن أحوال أخينا عبد اللطيف الذي كان يعاني من مرض عضال. فأخبرني بأنه بخير. فقررت أن أزوره عند أول فرصة تتاح لي. لكن شاءت الأقدار أن لا تتم هذه الزيارة في حياته. ذلك أنه بعد بضعة أسابيع توصلت برسالة فيها نعي لأخينا عبد اللطيف. فاسترجعت، ودعوت الله عز وجل أن يأجرنا في مصيبتنا، ويخلف لنا خيرا منها. فكل نفس ذائقة الموت. وكل نفس لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوفي رزقها. والأجل إذا جاء لا يؤخر ساعة ولا يستقدم. ونحن سائرون إلى الله عز وجل نوشك أن نصل...

وشعرت بتفاهة هذه الحياة الدنيا وحقارتها؛ إلا أن تكون مزرعة للآخرة، وتعمر بذكر الله وما والاه. وأن المسلم يلزمه أن يغتنم الفرصة؛ لأن الموت يطلبه.

ثم دعوت الله عز وجل أن يغفر له ويرحمه، ويثبت عند المسألة منطقه. وألا يحرمنا أجره، وألا يفتننا بعده. ويغفر لنا وله. وأن يزيد في إحسانه -إن كان محسنا- وأن يتجاوز عن سيئاته -إن كان مسيئا- ويكرم نزله، ويوسع مدخله، وينقيه من الخطايا والذنوب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.. ويبدله دارا خيرا من داره، وأهلا خيرا من أهله. ويجعل مستقره في أعلى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

ثم دعوت الله الحليم الكريم أن يرزق زوجه، وأولاده، وإخوانه، وأخواته، وأصهاره، وأقاربه، ومحبيه، الصبر الجميل .فإن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فليصبروا وليحتسبوا. وإن العيون مهما دمعت، وإن القلوب مهما حزنت فلن تتلفظ إلا بما يرضي الله عز وجل. وإنا على فراق أخينا عبد اللطيف لمحزونون. ولكن ما يخفف الآلام والأحزان أن ما عند الله خير وأبقى.

ثم عادت بي الذاكرة إلى ربع قرن من التلمذة والصحبة أو يزيد. إذ كان أول لقاء به رحمه الله سنة 1984 في بيت صهره شيخنا الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي-حفظه الله- ثم توطدت الصلة به أكثر نتيجة الزيارات المتكررة رفقة أخي الأستاذ جمال قصد استشارته في قضايا علمية يخص جزء منها بحثه "حق الجوار من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي التونسي رحمه الله. ثم صرت بعد ذلك من تلاميذه، وحظيت بشرف توجيهه في بحث "التخطيط والبنيان في الفقه الإسلامي" بعد أن أحالني أستاذي الشاهد البوشيخي -حفظه الله- عليه. وشرفت بوجوده ضمن أعضاء لجنة فحصه ومناقشته. فنعم الناصح الأمين كان.

وقد طفقت أنظر إلى حسنات الرجل، فوجدت هذا المقال يقصر عن استيعابها. ويسمح فقط بذكر بعض ما عن لي منها.

نشأ -رحمه الله- في بيت علم، وتربى في بيئة مؤسسة على التقوى، وفي أحضان علماء عاملين...

عاد بعد أن أكمل دراسته في الهندسة المعمارية بفرنسا؛ ليضع خبرته وتجربته تحت تصرف بلده.

عرفته أخا كريما، ناصحا أمينا، برا رحيما، خافضا للجناح خدوما، صابرا محتسبا، ذا همة عالية، ثابتا على المبدإ حين يتساقط المتساقطون، منفسا للكرب حين يتثاقل المتثاقلون، حليما حين يجهل الجاهلون، باذلا للغالي والنفيس حين يمنع المانعون...

كان في آخر أيامه بعد اشتداد المرض عليه -كما ذكر بعض الإخوة- يحزم أمتعته ليودع الدنيا بمن فيها وما فيها. ويعد العدة للقاء ربه. أغلق جميع حساباته إلا ما كان من ذكر الله وما والاه. راغبا فيما عند الله، متضرعا إليه أن يغفر له ويرحمه، متحسرا على ما فاته من القربات، باكيا على كل لحظة فاتته لم يزدد فيها قربا من الله عز وجل.

كانت نظرته إلى العمارة الإسلامية تختلف عن كثير مما هو موجود في السوق العلمي، وفي عدد من النقاط الجوهرية. وقد طلب منه غير ما مرة أن يعجل بكتابتها وتدوينها؛ ولكن كان عذره- دائما- أن المسألة تحتاج إلى مزيد تحقيق وتدقيق وتوثيق.

حاز قصب السبق في مجال العمارة الإسلامية بشهادة القريب والبعيد. وقد جمعتني بكثير من المهندسين المعماريين والمهتمين بها لقاءات ومؤتمرات وندوات فوجدته من أكثرهم فقها لقضاياها، واستيعابا لإشكالاتها، وعلما بمقاصدها وقواعدها وضوابطها، وإلماما بجزئياتها وتفاصيلها، وتمكنا من أدواتها ومنهجية التعامل معها.

كان -رحمه الله- يرى أن حجم الخلل الذي أصاب الأمة في مختلف الميادين، وبخاصة في ميدان العمارة الإسلامية يجب أن يوازيه حجم من الإصلاح أكبر . وأنه لا بد من تعاون المختصين والمهتمين -من مهندسين، ومخططين، وفقهاء، وخبراء...- وتكاثفهم وتكاملهم لتأسيس علم معماري إسلامي ينفع الناس ويمكث في الأرض.

أسس في المغرب مدرسة معمارية متميزة، وتخرج على يده -يوم كان أستاذا بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط- أفواج من المهندسين المعماريين على قدر كبير من الفقه والوعي الحضاري.

آمن برسالة المهندس المعماري المسلم أشد ما يكون الإيمان، وحمل رايتها بقوة وأمانة، مقبلا غير مدبر. وأسهم في تحقيق كثير من الرشد العلمي والمنهجي في هذا المجال.

كان يرى أن العمارة الإسلامية التي تعكس مبادئ الإسلام، وقيمه، وثقافته، وحضارته، والمؤسسة على تقوى من الله ورضوان تابى أن تكون تابعة للعمارة الغربية المؤسسة على شفا جرف هار، والتي في مجملها عبارة عن أدوات صامتة للغزو الفكري، والاستلاب الحضاري. ودعا المهتمين بها إلى تجاوز الاهتمام بأشكالها ومظاهرها إلى الاعتناء بمضامينها وجواهرها.

لقد كان اهتمامه بعمران مدينة فاس العتيقة يفوق كل اهتمام؛ لأن المحافظة على معالمها العمرانية محافظة على أصالة الأمة وهويتها، و طريق إلى استرجاع عافيتها، ومقوماتها الحضارية.

تولى إدارة مندوبية المحافظة على مدينة فاس التي أصبحت فيما بعد تحمل اسم وكالة إنقاذ فاس، وضرب أروع الأمثلة في التعريف بتراثها المعماري، والاهتمام به، والمحافظة عليه. وحرص على انقاذ ما يجب إنقاذه منه أشد من حرصه على نفسه. وقدم مشاريع لصيانته وتنميته. وحتى حين أسند أمر إدارتها إلى أحد تلاميذه ظل وفيا لها، ومنح من نصحه وتوجيهه خدمة للبلاد والعباد. ولا يزال أهل فاس يذكرون معروفه الذي أسداه إلى مدينتهم.

ولكونه من المبرزين في مجال العمارة الإسلامية فقد عهد إليه -بمعية ثلة من المعماريين المتميزين- بوضع مشاريع قوانين للمباني التراثية في المملكة العربية السعودية. وبوضع اتفاقية العالم العربي واتفاقية العالم الإسلامي للمحافظة على التراث المعماري وتنميته، وبوضع مشروع قانون يضبط كل ما هو مبني في المغرب. وبإعداد "استراتيجية" للتعامل معه.

وكان من مشاريعه الأخيرة أن بدأ في تدوين كتاب حول التحولات الحضرية التي عرفتها مدينة مراكش، ولما أحس أن أجله قريب عهد إلى أخته الأستاذة عائشة الحجامي -حفظها الله- بالسهر على إتمامه رفقة مهندسين عينهم لذلك.

اتخذ سورة العصر ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ شعاره في حياته العلمية والمهنية.

آمن بالعمارة الإسلامية شكلا ومضمونا، وبرسالة المهندس المعماري المسلم، ودعا إليها، وسعى إلى التمكين لها، ودافع عنها في مشاريعه، وفي المؤتمرات والمحافل الدولية، وحمل رايتها صابرا محتسبا إلى أن لقي ربه عز وجل. فهنيئا له بما أسلف في الأيام الخالية. وهنيئا لمن صبر بعده، وصابر، ورابط، واتقى الله حتى أتاه اليقين.

لقد كان -رحمه الله- من صناع الحياة. وإن موته قد أحدث ثلمة في البنيان الإسلامي عموما، وفي جدار العمارة الإسلامية خصوصا. ولكن عزاؤنا أن الله عز وجل يجعل بعد عسر يسرا.

فاللهم ارحمه، واجعل علمه وعمله وأثره من الصدقات الجاريات، و الباقيات الصالحات. و﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾. ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾. ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾. و"الحمد لله رب العالمين".

حاز قصب السبق في مجال العمارة الإسلامية بشهادة القريب والبعيد. وقد جمعتني بكثير من المهندسين المعماريين والمهتمين بها لقاءات ومؤتمرات وندوات فوجدته من أكثرهم فقها لقضاياها، واستيعابا لإشكالاتها، وعلما بمقاصدها وقواعدها وضوابطها، وإلماما بجزئياتها وتفاصيلها، وتمكنا من أدواتها ومنهجية التعامل معها

آمن بالعمارة الإسلامية شكلا ومضمونا، وبرسالة المهندس المعماري المسلم، ودعا إليها، وسعى إلى التمكين لها، ودافع عنها في مشاريعه، وفي المؤتمرات والمحافل الدولية، وحمل رايتها صابرا محتسبا إلى أن لقي ربه عز وجل. فهنيئا له بما أسلف في الأيام الخالية.

عبد اللطيف الحجامي المهندس الرائد والطبيب المعلم

د. الحاج موسى عوني
كلية الآداب فاس -سايس

يحق لكل أمة أن تفتخر برجالها ونسائها الذين أسهموا في بناء مجدها وتجديد عطائها والمحافظة على أصالتها والذود عن محارمها وحرماتها. وقد دأب المغاربة ومنذ عهود خلت على إيلاء عناية خاصة بأعلامهم وعلمائهم، وخصوهم بالتكريم والاحترام والتمجيد في حياتهم وبعد مماتهم، ويكفي تصفح كتب التراجم وموسوعات الأعلام وسير الرجال لمعرفة المساحة التي شغلها هؤلاء ضمن الإنتاج الفكري المغربي، وحضورهم الوازن في صياغة تاريخ البلاد وبناء ثقافته وشخصيته الإسلامية. وقد ودعنا في الأيام القليلة الماضية من شهر محرم الحرام 1432هـ / دجنبر 2010م واحدا من الأعلام الكبار الذين أنجبتهم أرض المغرب المباركة، إنه المرحوم المهندس والمعماري عبد اللطيف الحجامي، إبن مدينة فاس، التي تشكل في المخيلة الجماعية دارًا للشرفاء والأولياء ومقصدا لأهل العلم والصلحاء.

فالمرحوم المهندس الحجامي ليس فقيد أسرته ومدينته فحسب، بل هو فقيد الوطن والأمة العربية الإسلامية لأن خدماته وإسهاماته وبصماته وإن تركزت بفاس، فإنها امتدت لتشمل جهات أخرى من بلدنا الحبيب، وعدة حواضر في البلدان العربية والإسلامية.

إن إدراكه العميق للأسس التي انبنى عليها العمران الأصيل، والثقافة التي وجهت مساره وبلورت أساليبه وأنماطه، جعلته على قناعة بضرورة صيانته وتثمينه وترميمه مما اعتراه من علل وأمراض، وما شابه من تدهور وتآكل بفعل عوادي الزمن وتقصير الإنسان

فهذا الرجل الذي يعد واحدا من الأبناء البررة لمدينة فاس، ارتبط اسمه بالعمارة الإسلامية والمدن الأصيلة من زاوية حمايتها وصيانتها وإنقاذها ورد الاعتبار لها . لقد استثمر تكوينه العلمي الرصين ومعارفه الموسوعية -التي راكمها في أحضان أسرته العالمة وداخل فصول الدراسة بالمغرب وسنوات رحلته العلمية إلى الديار الفرنسية- من أجل الإسهام في بعث الحياة في النسيج الأصيل الذي يشكل جزءا أساسيا ضمن خريطة العمران والبنيان بالمغرب.

لقد اشتغل المرحوم الحجامي على بلورة مشروع علمي وعملي، جاد ومتكامل، من أجل نفض الغبار وإبراز السمات وتبيان القيم التي يمثلها النسيج الأصيل، مستفيدا من تكوينه الدقيق في العمارة والعمران، ومما اكتسبه من الثقافة الإسلامية التي تربى عليها في كنف والده المرحوم العلامة الفقيه الحجامي. فكان بذلك من الأعلام السباقين في هذا الحقل العلمي.

لقد حمل المرحوم مشروعا لخدمة مدينته وبلده وأمته، مشروع المحافظة على المدن الأصيلة وإنقاذها ورد الاعتبار لها، مشروعاً يزاوج بين الأصالة والمعاصرة لأنه يتضمن في شقه الأول التراث الإسلامي بتعاليمه ومبادئه ومقاصده، وفي شقه الثاني يركز على عملية الصيانة ورد الاعتبار الذي يستفيد من الخطط والوسائل والتقنيات التي توصلت إليها الإنسانية بفكرها المتألق والمتجدد والواعي، وبالتالي فإن مشروعه جمع بامتياز بين إشراقات الحضارة الإسلامية وأنوار الحضارة الإنسانية المعاصرة.

إن إدراك المرحوم الحجامي العميق للأسس التي انبنى عليها العمران الأصيل، والثقافة التي وجهت مساره وبلورت أساليبه وأنماطه، جعلته على قناعة بضرورة صيانته وتثمينه وترميمه مما اعتراه من علل وأمراض، وما شابه من تدهور وتآكل بفعل عوادي الزمن وتقصير الإنسان. فعمل بطريقة حثيثة، وجهد متواصل، وعزيمة لا تكل، وصبر لا يكاد ينفذ، من أجل التعريف بمشروعه وتطبيقه على أرض الواقع، متسلحا بالعلم والعرفان، ومدافعا بالحجة والبرهان، مستحضرا محطات التاريخ وواعيا بأهمية المآل، مشتغلا على تحقيق المقاصد الواصلة بين الحفاظ على الدين وحماية المال والنفس، مستنيرا بقاعدة درء المفاسد وجلب المنافع للمدينة وأهلها.

لقد شكلت المدن الأصيلة، وفي مقدمتها مدينة فاس، التي تمثل مكونا أساسيا من إرثنا الحضاري وثقافتنا الإسلامية- القضية المحورية عند المرحوم الحجامي، فلم يدخر وسعا طوال حياته -المليئة بالأعمال الجليلة والمشاريع الكبرى- في تبيان أهميتها، وإبراز سماتها، والدفاع عن أحقيتها في أن تتبوأ المكانة التي تليق بها وبساكنتها والعاملين داخل أسوارها والزائرين لها.

ولتحقيق مشروعه المتفرد والسير به قدما،وظف عدة مناهج وأساليب، تجمع في جوهرها بين المعرفة النظرية والفعل الميداني، وبين حسن التربية وجدية التكوين، وبين العمل التشاركي والتوظيف الإيجابي للطاقات والإمكانيات المتاحة.

وفي هذا السياق ركز على تكوين جيل من الشباب المهندسين المتخصصين

فالمرحوم المهندس الحجامي ليس فقيد أسرته ومدينته فحسب، بل هو فقيد الوطن والأمة العربية الإسلامية لأن خدماته وإسهاماته وبصماته وإن تركزت بفاس، فإنها امتدت لتشمل جهات أخرى من بلدنا الحبيب، وعدة حواضر في البلدان العربية والإسلامية

في قضايا النسيج الأصيل والعارفين بخباياه وأسراره، والذين يعول عليهم في تحقيق باقي عناصر المشروع، وتجسيده على أرض الواقع، وحمل المشعل لنفض مزيد من الغبار عن التراث المعماري العربي الإسلامي.

كما فتح قنوات التواصل مع الهيئات العلمية والمراكز البحثية المحلية والوطنية والدولية، إدراكا منه بأن التراث العمراني والمعماري الذي انبنى على العلم، لا يمكن إنقاذه أو التدخل فيه بدون إشراك أهل القلم من مشارب مختلفة، وأهل البصر والدراية بشؤون البنيان والعمران الذين هم خزان المعارف التطبيقية وذاكرة الأمة الحية والمتواصلة في هذا الميدان.

وإدراكا من المرحوم بأن رد الاعتبار وتثمين التراث الأصيل هو مسؤولية الجميع، فإنه لم يقتصر على التنسيق مع المؤسسات والمصالح الإدارية المعنية، بل نسج تعاونا مثمرا مع الهيئات والجمعيات الفاعلة، فضلا عن إشراك القطاع الخاص في إنجاز الكثير من مشاريع الترميم والصيانة.

لقد استطاع الانتقال بمشروع إنقاذ مدينة فاس من الإطار المحلي والوطني إلى الفضاء الدولي، فأضحت المدينة موضوعا للنقاش والمدارسة في الملتقيات العلمية الدولية، ومثار اهتمام المؤسسات العالمية والمالية، الوازنة والمؤثرة في ميدان المحافظة على التراث العالمي.

لقد كانت للمرحوم اليد البيضاء في تجميع الطاقات والموارد البشرية وتسخيرها بما حباه الله من مواهب جليلة وطاقات كبيرة، فهو العالم الموسوعي، والقائد المنظر، والمتفحص المدقق. إنه بقدر اتساع خياله وارتقائه بالفكر إلى مستوى عال من التنظير والتجريد، بقدر عنايته بدقائق الأمور والغوص في التفاصيل، فهو لم يكن يرضى في العمل والأداء عن الفعالية والمهنية والدقة بديلا.

وإذا كان العلم -كما قال وكتب الأسلاف- يخرج من حيطان فاس كما يتدفق الماء من عيونها، فإن المرحوم عبد اللطيف الحجامي جعل من حيطان المدينة وأزقتها وبناياتها مادته العلمية المفضلة، فعرف كيف يستخرج منها الدرر، فكشف الحقائق الدقيقة من حجارتها، وفسيفسائها وكلسها، ورخامها وخشبها... لقد استنطقها بحكمة، فوعى قيمتها، وورق قلبه لأنينها، فقدم الوصفات لعلاجها، فكان خير الطبيب المعالج لها والمدافع المستميت عنها. ومن ثم فلا عجب إن ترك رحمه الله بصماته واضحة في أسوارها، وعلى امتداد شبكتها المائية الأصيلة، وفي الفضاءات الرحبة لباب المكينة، وبين أروقة فندق النجارين ومحيطه، وعلى واجهات المدرسة المصباحية، وداخل المدرسة العنانية االشهيرة التي تحدثت بها طويلا الركبان، ودار الأسطرلاب التي أيقظت الأنام، في شهر الصيام والقيام. بل إننا نكاد نجد لوصفاته صدى في جل الدروب والأزقة، فاسأل منازل درب سبع لويات تحكي لك بتفصيل عن رقة هذا الطبيب، عن علمه وبيانه، عن براعته وسداد رأيه، عن عزمه وصبره، عن قوته وإرادته....

واذهب -إن شئت بعيدا- إلى البلاد التي يأتيها العباد من كل فج عميق، فاسأل عنه واحة الدرعية القديمة وقصورها التاريخية الطريفة، ذات المعاني اللطيفة، المشرفة على وادي حنيفة، فلن تتردد بأن تعلمك عن قوة فراسته وعلو كعبه، فكم استفادت من خبرته، واطمأنت بتشخيصه لعللها، واقتراحاته لرد الاعتبار لها. ثم عرج

لقد استطاع الانتقال بمشروع إنقاذ مدينة فاس من الإطار المحلي والوطني إلى الفضاء الدولي، فأضحت المدينة موضوعا للنقاش والمدارسة في الملتقيات العلمية الدولية، ومثار اهتمام المؤسسات العالمية والمالية، الوازنة والمؤثرة في ميدان المحافظة على التراث العالمي.

على مدينة جدة، ميناء مدينة مكة -التي تهوى إليها أفئدة المؤمنين- فهي لن تنسى حركته ونشاطه، ولا أراءه وأفكاره، ولا صدقه وسمته، ولا استقامته وابتسامته.

لقد كان -هنا وهناك- نعم المهندس الرائد والطبيب المعلم.

فرحم الله هذا الرجل وأدخله فسيح جنانه وجعله مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وألهم ذويه ومعارفه وأصحابه ومحبيه الصبر والسلوان. كما نسأل المولى عز وجل ألا يحرم الأمة من أمثاله. آمين.

عبد اللطيف الحجامي المهندس المقاصدي

أ.د عبد الله الهلالي
كلية الآداب ظهر المهراز -فاس

تبارك الله الكريم العظيم الذي بيده الملك كله، المتصرف في الخلق كله، بما يشاء وكيف يشاء، فلا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، ولا سائل عما يفعله بخلقه، سبحانه وتعالى عما يشركون.

خلق سبحانه الموت والحياة، وأوجد الخلائق من العدم ليختبرهم ويقيم الحجة عليهم في أعمالهم، هل هي أعمال حسنة متقنة، بُذلت في سبيل تجويدها وتحقيقها قوتهم وطاقاتهم، أم أنها أعمال ضعيفة هزيلة خائبة؟ أم هي أعمال كثيرة لكنها سيئة وغير حسنة؟. لدقة هذا المعنى، فسر محمد بن عجلان "أحسن العمل" في قول الله عز وجل ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ : بخير العمل لا بأكثره؛ لأن العمل قد يكون كثيرا، لكنه لا صدق فيه ولا اتباع فلا تكون فيه الخيرية والبركة. وقد يكون العمل خالصا ومتبعا، ولكن لا إتقان له كما ينبغي.

من منطلق هذا الفهم المقاصدي للدين ولرسالة المهندسين، كان فقيدنا المهندس الفقيه عبد اللطيف الحجامي يعمل، ومن هذا المنطلق كان يفكر ويجتهد ويؤطر، ويربي ويشرف على مجموعات المهندسين والبنائين، بل من هذا المنطلق كان يصدر في حديثه ومذاكراته العلمية، وفي مناقشاته للأطروحات الجامعية.

فالأستاذ عبد اللطيف كان معروفا في أوساط المهندسين المعماريين المغاربة وغير المغاربة بدقة التكوين وسعة الأفق، والقدرة على الإقناع، والرغبة في جمع المهندسين على مشروع رسالي يبتدئ في حياتهم ولا ينتهي ولا يتوقف بعد مماتهم، ولذلك لم يكتف بالتدريس وإنما أتبع التدريس بالتأطير والإشراف والتدريب لعدد كبير من المهندسين وهذا لعمري هو حسن العمل والعمل الحسن، لان العبرة بالمقاصد والمعاني.

والأستاذ عبد اللطيف كان ينطلق في نظرته العمرانية من مفهوم البنيان في المنظومة الإسلامية، أسعفه في ذلك محيطه الأسري والاجتماعي، حيث كان يتلقى هذه المعاني عن أبيه العلامة الزاهد الفقيه أحمد الحجامي وأصهاره العلماء آل البوشيخي. فكان رحمه الله إذا تحدث عن العمارة تحدث عنها بما يحقق مقاصدها ويراعي واقعها ويحي رسالتها، وبذلك كان يستحضر أركانها الثلاثة:

- التنظيم والتناسق والانسجام في البنيان.
- التراص والتدعيم القوي للبناء.
- مراعاة الفقه الشرعي لعملية البناء في علاقاته الجوارية والإيمانية.

وهذا الفهم الدقيق للعمارة الإسلامية مع مراعاة تكييفها وتنزيلها في الواقع المعاصر يدل على براعة الرجل رحمه الله وقوته ورساليته.

فمراعاة هذه الأركان الثلاثة يجعل الهندسة المعمارية الإسلامية تكتسب الصبغة العصرية، ولا يفقدها أشكالها الهندسية الفنية المعاصرة ولا يحصرها في الطابع المادي أو التبعي للرؤية الغربية.

فتنظيم البناء وتناسقه، وانسجامه، واتساع دروبه وأزقته وشوارعه، ومراعاة إمداده الروحي والتربوي في دقة تخطيط مساجده وما يتفرع عنها من منافع مادية واجتماعية كالحوانيت والمعامل وأوراش العمل بالمدينة. هذا الركن الأساس في العمارة الإسلامية يلاحظ غيابه في المدن العصرية، لأنها أسست إما في مرحلة الاستعمار أو بعد خروج المستعمر. ولذلك كان المرحوم يركز دائما على ضرورة الانطلاق من منظومتنا الإسلامية والاستفادة من تجاربنا العمرانية أولا، ثم الاستفادة من تجارب ونظريات الآخرين ما لم تتعارض مع أصولنا وثوابتنا وقيمنا.

وأما الركن الثاني الخاص بالتراص والتدعيم في البناء فهو ينطلق فيه من الحديث الصحيح : «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا» فلأصل في البنيان التراص، ومن دلالات التراص : التلاحم والتلاصق والانضمام والإحكام وانعدام الفرجة والخلل، وبذلك كان يبين لطلبته والمهتمين بالبناء والعمران أن إحكام البناء وترابط أجزائه كان توجها طبيعيا في العمارة الإسلامية حيث شبه المؤمنون في تراص صفوفهم وتلاحمهم بالبناء الذي عادته أن يكون كذلك. وإلا ما عد بنيانا ؛ إذ طبيعته تلاحم لبنه والتحامها بما يجمع بينها ويؤلف بين عناصرها، ويحقق استقامتها واتساقها، ويجعل منها مثلا لصفوف المؤمنين ونموذجا لجمع كلمتهم ووحدة صفوفهم.

وهذا الركن بالذات هو الذي دفع الحجامي رحمه الله إلى الإسراع بإنقاذ مدينة فاس، فبادر إلى صيانة وترميم وتدعيم ما انخرم أو انهدم أو اختل أو تآكل من البناء، واستعان في ذلك بالبنائين القدامى وهيأ لذلك طاقما هندسيا معماريا من الشباب النشيط المتدرب – هم الذين تولوا متابعة المشروع بعده – يأخذون الدروس النظرية عن أستاذهم عبد اللطيف ويتعلمون الدروس العملية عن البنائين البارعين، فيجمعون ما بين النظري والتطبيقي.

وأما الركن الثالث وهو الخاص بمراعاة الفقه الشرعي لعملية البناء. فهذا الركن أساس الهندسة الإسلامية الحضارية، لأن البناء شأنه شأن أمور الحياة الأخرى، لا يمكنه أن يكون وفق مقاصد الشريعة إلا إذا بنيت أحكامه عليها. فالبنيان له علاقة بحياة الناس واستقرارهم، والناس ليسوا ملكا لأنفسهم فهم ملك لأمتهم وبذلك يكون البنيان كله ملكا للأمة جميعا. فتكون هندسته ونظامه وما يقوم عليه، والعلاقات المترتبة عنه. كل ذلك لا بد أن يخضع لنظام الشرع الذي يراعي المصالح العامة والخاصة ويجلب المنافع ويدفع المضار عن الأمة كلها. وإذا أضيف هذا إلى العلاقات الجوارية وما يترتب عنها من مشاحات في الفضاءات والحيطان المتجاورة والاستحقاقات المتنازع عليها فيما بينهم مثل الهواء الأعلى والأسفل وفي استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسربة في القنوات الخاصة بها. فالحاجة إذا لفقه البنيان وفق مقاصد الشرع وأحكامه أمر ضروري لكل مهندس وبناء.

وهذا الفقه الشرعي يسر الله لفقيدنا عبد اللطيف أن يتلقى الكثير منه عن أبيه الفقيه، فجمع إلى جانب التكوين الهندسي تكوينا شرعيا مهما مكنه من بناء تصور علمي منهجي يؤسس عليه مشروعه الرسالي الذي ظهرت آثاره في محاضراته ومناقشاته وأوراشه ومشاركاته في الندوات الدولية الوطنية.

فرحم الله المهندس الفقيه المقاصدي الرسالي، الذي ألف عددا كثيرا من المهندسين وزرع كثيرا من الأفكار والتصورات الهندسية الحضارية في بلدنا الحبيب وفي بلدان إسلامية كثيرة، وإن الأمل معقود على الله ثم على طلبته المهندسين وعلى رأسهم ولده، ليواصلوا المشوار ويجمعوا ما تناثر من درر تصوراته وتوجيهاته.

المهندس عبد اللطيف الحجامي رحمه الله رجل فقدناه

د. عبد الرحيم الرحموني
كلية الآداب ظهر المهراز -فاس

(عبد اللطيف) رحمه الله، اسم على مسمى، فلقد تجَلّت الصفة الربانية التي عُبِّد بها لله عز وجل في كل أعماله وتصرفاته، ومن ثم كان لطيفا في كل شيء.

كان لطيفا في ابتسامته لُطْفاً يتمثل مغزى الحديث النبوي «تبسّمك في وجه أخيك صدقة»، وبذلك كان رحمه الله طلق المحيا منشرح الصدر، يبتسم إذا تكلم، ويبتسم إذا استمع، يبتسم إذا فرح، ويبتسم إذا غضب، يبتسم وهو جالس على المكتب في الإدارة، ويبتسم وهو يزاول عمله هنا وهناك، ويبتسم وهو يحادثك على الرصيف أو الشارع... كان رحمه الله تعالى ممتلئا بشاشة ولطفاً.

كان لطيفا في هيئته وهندامه، أنيقا في شكله ومظهره، يُشعرك بهيئته وهندامه دائما بأنه رجل الإدارة والعمل، حتى وهو خارج الإدارة والعمل، ويشعرك بهيئته وهندامه أنه دائما في العمل حتى ولو كان في عطلة عن العمل... لقد كان رحمه الله رجل الجد والعمل،

كان لطيفا في معيشته وحياته، لم يعش يوماً حياة المترفين، رغم أنه كان بإمكانه أن يفعل ذلك وأن يصل إلى ذلك لكنه كان قنوعاً راضيا بما قسمه الله تعالى له من الحلال.

كم مرة سافرت معه فلم يكن غداؤه يزيد عن شيء من السردين المعلب وكوب من الحليب، فأقول له : إن القدماء قد قالوا : لا تأكل السمك وتشرب اللبن، فيجيبني بابتسامته المعهودة : هذا قياس غير صحيح، والأطباء ينكرون ذلك.. وكم من مرة وصل الليل بالنهار دون أن يأكل أي شيء، وفي أحسن الأحوال كان يشرب كوبا من الماء مُحلى بشيء من السكر حتى إنك لتتخيل وكأنه مضرب عن الطعام.. طبعا لم يكن يفعل ذلك بُخلا ولكن الإيمان بالعمل وحب التفاني فيه والتضحية هو الذي لم يكن يسمح له بأن يجلس هانئا مرتاحاً من أجل أن يأكل كما تأكل المخلوقات الأخرى.. كان يرى أن الأكل، ومن ثم الدنيا، آخر شيء يمكن أن نشغل بالنا به.

حينما كان على رأس إدارة إنقاذ مدينة فاس، كان رحمه الله فعلا يريد أن ينقذ هذه المدينة من الدمار والاندثار، ومن تلاعب اللاعبين وعبث العابثين وأصحاب المصالح الشخصية، فكان يصل الليل بالنهار دون تعب أو كلل، وحينما غادر إدارة الانقاذ سارَ بنفس الإيقاع مُتخذاً شعاره : العمل ولا شيء إلا العمل، فلذلك قلت إنه كان لطيفا في معيشته...

كان لطيفا في معاملاته وصِلاته، فلقد مكّنته مؤهلاته العلمية، ومكوّناته العملية بأن يربط صلات قوية وعلاقات متينة مع شخصيات نافذة من أصحاب القرار لكن لم يوظف في يوم من الأيام تلك الصّلات والعلاقات لغاية نفعية ذاتية، بل كان يعتبر ذلك صداقة من الصدقات التي قد تربط الإنسان بكُبراء رجال الأعمال كما تربطه بعامل من العمال البسطاء، أو بشخصية سياسية نافذة، كما تربطه بموظف من الموظفين العاديين.

كان لطيفا في فِكْره وابداعه، ينظر إلى الأمور ببسَاطة، لكنها بساطة عميقة دقيقة تحليلية وجيهة، يُقدِّم لك الأمر العويص المعقّد في صورة بسيطة لطيفة تنسى معها أن الأمر كان معقداً بالشكل الذي تتصوره، ويحلّل الظواهر والأوضاع بشكل تتيقن معَه أن ما قدمه لك هو عين الصواب، فقط لِلُطفه وبساطته.

أما الإبداع في مَجال تخصصه فحدث ولا حرج، لقد كان لديه رحمه الله تصور حضاري في مجال الهندسة المعمارية، وكان –على صبره وسعة صدره– يتحسر على التفريط في ما لدينا من تراث حضاري في هذا الباب، كان يتحسر –وحق له ذلك– على التقليد الأعمى لتراث الغير دون أي وعي بخطورة التقليد، وفي المقابل كانت لديه اقتراحات إبداعية علمية عملية، بذل فيها كل طاقاته من أجل توصيلها إلى الطلبة حينما كان يدرسهم بالرباط، وبذل فيها مهجته وهو يحاول إحياء ذلك في فاس حينما كان على رأس إنقاذ المدينة، ثم بعد ذلك في المشاريع الكبرى على المستوى الدولي.

كان رحمه الله لطيفا في مواجهة المحن والإحن التي كانت تعترضه هنا وهناك، تلك المحن التي لو اعترضت الجبال الرواسي لتأثرت، ولكنه رحمه الله كان يواجهها بلطفه وصبره، وبأناته وحلمه، حتى يحولها إلى منح فيخرج منها صابراً محتسباً...

حدثني رحمه الله في مرضه الأخير عن بعض ما حصل له في السنوات الأخيرة من هذه المحن الكبرى، فقلت له : لعل همّ هذا الحدث هو الذي أثّر في صحتك، فأجابني بابتسامته اللطيفة : أبداً! وكيف يكون ذلك وأنا أعتبر ذلك من النوادر التي كلما تذكرتها أضحك ملْء في.. ثم بدأ يضحك لكن بابتسَامته المعهودة.

لقد كان عبد اللطيف رحمه الله رجلاً، ملْء الفم واليد والجَنان، فقدناه ونَحن أشد ما نكون أحوج إلى فكره ولطفه، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ورزق أهله وذويه الصبر، وجعل ذريته صالحة مصلحة لطيفة على نهج أبيها ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ فاللهم ألحقنا به مسلمين مؤمنين تائبين.

كلمة في حق المرحوم المهندس والأب الوفي عبد اللطيف الحجامي

عمر البداوي
إطار بوكالة إ نقاذ فاس

ترددت كثيرا قبل أن اكتب هذه الكلمة لأنه في تقديري، أن القلم والكتابة قد لا تفي بإنصاف هذا الرجل العظيم المرحوم عبد اللطيف الحجامي، لكن لما حضرت إلى الاحتفاء التكريمي الذي أقيم للمرحوم يوم السبت 26 مارس 2011 في مدينة الرباط، من طرف الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين، واستمعت إلى شهادات في حق المرحوم من طرف أصدقائه وأساتذة أجلاء وأفراد من عائلته، قررت أن اكتب هذه الكلمة وأنا على يقين **أن العظماء الذين يخلدون أسماءهم في التاريخ بالنضال والدفاع عن الحق وعن مجد الأمة وأصالتها ابتغاء وجه الله، لا تنصفهم الكلمات مهما وصلت بلاغتها،وإنما تنصفهم رحمة الله عندما توضع في ميزان حسناتهم وتثقل موازينهم، وأما الكلمات فتنفعنا نحن محبيهم وتنفع ذويهم لتهون حرارة الفراق وتخفف من مصيبة الموت.**

تعرفت على المرحوم عبد اللطيف الحجامي منذ سنة 1992، وهي السنة التي طرقت فيها باب الإدارة بعد سنوات الدراسات الجامعية، وكنت محظوظا حيث اشتغلت إلى جانبه وهو على راس الإدارة العامة كمدير عام لوكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

وقد كان المرحوم يحب العمل ويتقنه ويتفانى فيه لأنه يعتبره عبادة يتقرب بها إلى الله، وكان وقت العمل عنده لا ينتهي بانتهاء التوقيت الإداري المعمول به، بل وفي كثير من الأحيان كانت كل مكونات الإدارة تشتغل بصفة مسترسلة حتى منتصف الليل و الهدف هو انجاز العمل المطلوب بتفان وإتقان، وكانت للمرحوم طاقة وصبر في العمل خارقة يصعب علينا في كثير من الأحيان مجاراته، ولا زلت أذكر إحدى مواقفه معي في المناظرة الدولية للمدن المصنفة تراثا عالميا التي شاركت الوكالة في تنظيمها إلى جانب المجموعة الحضرية لمدينة فاس آنذاك سنة 1993، حيث استمرت المناظرة ثلاث أيام، جندت لها الوكالة كل طاقاتها لإنجاحها، وفي اليوم الأخير وبعد الانتهاء من أشغال الندوة، كانت للمرحوم ندوة صحفية فاحتاج إلى من يساعد في إعدادها، فطلبني كثيرا لكنه لم يجدني، لاني كنت متعبا فذهبت لارتاح،كما انه لم يكن في علمي انعقاد هذه الندوة. وفي اليوم الموالي سألني عن غيابي، وأعطاني درسا في الجدية والعمل وقال لي **إن سر نجاح الرجل هو إتقانه للعمل من أوله إلى آخر حلقة فيه.**

والمرحوم المهندس عبد اللطيف الحجامي **كان إلى جانب تخصصه في الهندسة المعمارية، رجل اقتصاد وعالم اجتماع ويتقن ثلاث لغات،العربية والفرنسية والانجليزية، فعندما يتكلم باللغة العربية عن الفن المعماري للمدن الأصيلة لن تتردد في أن تصفه بالخبير في شؤون اللغة العربية والمتضلع فيها.أما عندما يحاضر باللغة الفرنسية في ندوة وطنية أو دولية حول مشروع رد الاعتبار للنسيج التقليدي والمحافظة عليه، فهو يتكلم بلغة سليمة وسهلة وسلسة تؤدي المعنى وتبلغ الهدف، وأما اللغة الانجليزية فيتقنها جيدا، تجعل المستمع الأجنبي وغير الأجنبي ينصت إلى كلامه ويفهم معناه. ومع كل هذا الثراء في اللغة والمعرفة فهو يوظف في كلامه عن العمارة الإسلامية تقنيات الهندسة المعمارية وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع، فيكون لكلامه قوة وشدة تجعل المستمع إليه، يقتنع بكلامه حتى وإن كان يحمل مشروعا معارضا لمشروعه.**

ومن ناحية أخرى فالمرحوم عبد اللطيف الحجامي، كان الابن الحنون والوفي لأبيه المرحوم الشريف سيدي احمد الحجامي، **فطيلة حياتي لم أر ابنا بارا بوالده مثل المرحوم عبد الطيف الحجامي في بره بأبيه، حتى يخال للمرء أن ليس له شغل إلا أبيه، وهذه الشهادة قد لا تحتاج إلى حجة أو دليل، فكل من شاهده وهو يصاحب أبوه إلى المسجد، أو يعامله بلطف ورقة وحنان داخل المنزل، لن يتردد في أن يطلب الله أن يكون مثله ويفوز برضا والديه.**

هذا الحنان والوفاء للمرحوم عبد اللطيف الحجامي امتد أيضا إلى كل العاملين في الوكالة فتجده يقف مع المريض فيواسيه ماديا ومعنويا ويساعد المحتاج للتغلب على مصاريف الزفاف آو العقيقة أو مصاريف أخرى، خاصة وأن جل العاملين بالوكالة كانوا من الشباب وفي بداية حياتهم المهنية والأسرية.

فبمشاعر المواساة والتعاطف الأخوية المخلصة، أسال الله تعالى أن يتغمد الفقيد العزيز عبد اللطيف الحجامي بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته، وينعم عليه بعفوه ورضوانه.

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

كان المرحوم يحب العمل ويتقنه ويتفانى فيه لأنه يعتبره عبادة يتقرب بها إلى الله، وكان وقت العمل عنده لا ينتهي بانتهاء التوقيت الإداري المعمول به، بل وفي كثير من الأحيان كانت كل مكونات الإدارة تشتغل بصفة مسترسلة حتى منتصف الليل و الهدف هو انجاز العمل المطلوب بتفان وإتقان، وكانت للمرحوم طاقة وصبر في العمل خارقة يصعب علينا في كثير من الأحيان مجاراته

عبده(*)

د. عمر الحجامي
شقيق المرحوم

هكذا كنا نسمي أخي عبد اللطيف في أسرتنا مع الوالد رحمة الله عليهما، وقد اعتدنا في العائلة أن نطلق اسما مستملحا على كل من إخوتي وأخواتي، وكان لأكبرنا سنا ميزة أخرى حيث ننادي الذكر منهم بعزيزي كذا، والأنثى بأختي كذا. كل هذا كان يعطي نوعا من الدفء والمحبة بيننا جميعا منذ الصغر.

أما عن أخي عبد اللطيف فلقد أعطاه اسم عبده مدلولا توافق مع سجاياه وأخلاقه التي تميز بها طيلة حياته ومنذ صغره، فهو عبده، أي عبد الله، في كل صفاته عز وجل، فهو عبد اللطيف وكان لطيفا، وعبد الرحمان وكان رحيما، وعبد الكريم وكان كريما، وعبد الغفور وكان سموحا، وعبد العليم وكان علاما في مجال تخصصه. كأن تسميته بعبده في أسرتنا جاءت لتؤكد كل هذه السجايا والأخلاق الربانية التي نهل منها أخي رحمة الله عليه.

كانت الابتسامة تطبع وجهه الوسيم باستمرار وكان يحب كل إخوته وأخواته ويمد العون لهم ويداعبهم ويصلهم ويشاركهم أفراحهم ومسراتهم بل وأحزانهم، ويسامح من يخطئ معه.

ونظرا لكل هذه السجايا كان الولد الأقرب للوالد رحمة الله عليه لما كان يجد فيه من صبر وسعة واستماتة وتضحية، وكان عبده يرافق والده يوميا للمسجد لأداء الصلاة بما فيها صلاة الفجر، ويحضر مجالسه مع علماء هاته المدينة، ويسهر على صحته وسلامته، كل هذا أعطاه تكوينا ربانيا وإيمانا صادقا أضيف هذا إلى رصيده المعرفي الذي كان يشمل مجال الهندسة المعمارية، حيث أصبح يتحدث في قضايا دينية وفقهية.

خلال المدة التي كان فيها مريضا صارع أخي المرض بصبر وعزيمة وإيمان، فكانت الابتسامة تطبع محياه، وكان يهتم بزواره فيسألهم عن أحوالهم وشؤونهم ويدعو لهم، ويوما زرته في العيادة الطبية وبدأت أمسك برأسه وأداعبه، فقال لي : هل أعجبك رأسي؟ قلت : بل هذا رأسي أنا، وهو رأس العلماء، فأجابني وهو يبتسم : حيث أنه رأسك لهذا سألتك أما لو كان غير ذلك لما تركتك تداعبه.

لا شك أن المنية أخذت منا وسط العقد ويا حزناه من فقدان وسط العقد!

فرحم الله أخي عبد اللطيف وأدخله فسيح جناته،

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

(*) كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

المهندس محمد صالح الحجامي. ابن الفقيد عبد اللطيف الحجامي:

علينا الحرص على استمرار رسالة المرحوم والوفاء بمضمونها

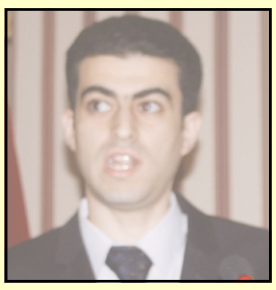

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين. بداية أتوجه بالشكر باسمي وباسم العائلة، جزيل الشكر إلى الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين، على هذه المبادرة الكريمة، والهيئة الجهوية للمهندسين بفاس، ووكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، وكل طلبة المرحوم، وجميع من أسهم في تنظيم هذا اللقاء، وسهر على جمعه، في ذكرى والدنا وأخينا عبد اللطيف الحجامي رحمه الله. كما أتوجه بالشكر والثناء إليكم أنتم الذين شرفتمونا بحضوركم الذي حمل إلينا أحسن العزاء وأكرم المواساة، أنتم جميعا الذين جعلتمونا نشعر أن حدود العائلة تتسع وتتسع، لتشملنا جميعا وإياكم في عائلة واحدة. جزاكم الله خير الجزاء، ولا يفوتنا هنا أن أتوجه بالشكر العميق لكل من ساندنا وواسانا في مرض المرحوم، وأذكر منهم على الخصوص الأطباء الأندلسيين، أصدقاءه وإخوانه الذين شملوه برعايتهم الطبية والأخوية والإسلامية، ويحضر بيننا ممثلون عنهم. نجتمع في هذه المناسبة لنحيي ذكرى شخص عرفتموه وعرفناه، من خلال أعماله ومنجزاته التي كان يعتمد فيها على نهج يجعل من خدمة الإنسانية هدفا، ومن القيم والمبادئ الإسلامية السامية منطلقا وغاية.

وهكذا كان الاهتمام بالعمران عنده يتجاوز البنيان ليشمل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والروحانية خدمة للإنسان، وهذا النهج يلتقي مع النظريات الحديثة في التنمية بمختلف أبعادها، والتي تجعل من الإنسان منطلقها ومنتهاها. هذا وقد كان رحمه الله يؤمن بوجوب تحقيق مصلحة هذا الإنسان وكم تفانى في تحقيق ذلك، وكان ينادي بضرورة بناء الذات ويعتز بما هيأ الله له من أسباب جعلته يسهم بكل ما أوتي من قوة ومعرفة في تكوين نساء ورجال ، يأمل أن يحملوا مشعل المشروع الذي ابتدأه وأفنى فيه عمره. وهذا يرتب علينا نحن أبناءه وأنتم طلبته وأبناءه أن نحرص على استمرارية هاته الرسالة، والوفاء بمضمونها. وفقنا الله لما فيه مصلحة هذا الوطن، وهذه الأمة.

كلمة قدمت في الحفل التأبيني الذي نظمته الهيئة الوطنية للمهندسين المعماريين المجلس الوطني واللجنة الجهوية لمدينة فاس بالرباط يوم 26 مارس 2011.

عبد اللطيف الحجامي : العائلة والإنسان

د. عبد اللطيف الخلابي

ثانيا : عائلة الحجامي أجيال المقاومة والعلم والحضارة:

تأبينا للفقيد عبد اللطيف الحجامي المتوفى يوم الثلاثاء 8 محرم 1432 الموافق 14 دجنبر 2010 م، نحاول أن نتسلق في أغصان الشجرة المباركة التي نما وترعرع فوق أوراقها. فالمرحوم عبد اللطيف هو أحد أبناء الفقيه العالم أحمد الذي هو ابن المجاهد المقاوم محمد الحجامي المنتسب إلى الشرفاء الحسنيين الأدارسة الذين كانوا يقطنون بمدينة زرهون قبل أن ينتقل أعقابهم إلى بلاد جبالة جنوب وادي ورغة.

اشتهر محمد الحجامي (ت 1362هـ/ 1944م) بجهاده ضد الاستعمار وبعلمه الذي أهله لكي يتولى أمور الزاوية الحجامية الكائنة بمنطقة بوليد من مشيخة سيدي المخفي بقبيلة الجاية التابعة لدائرة غفساي من إقليم تاونات.

ففي الوقت الذي كان فيه المستعمر الفرنسي قد أرغم المولى عبد الحفيظ على توقيع الحماية في 30 مارس 1912م، كان الشيخ محمد الحجامي يتولى مشيخة الزاوية الحجامية شمال العاصمة العلمية. حيث يقوم هناك بتربية وتعليم مريديه، وفق ما عُرفت به الزوايا في تاريخ المغرب من المرابطة ومجاهدة النفس واكتساب خصال الزهد والإيمان والتقوى ... وبعد الاحتلال العسكري الفرنسي لفاس وما خلفه ذلك من أثر بالغ في نفوس المغاربة، قدِم رجال من أهل المدينة على الشيخ محمد الحجامي بزاويته دلهم عليه أهل ضواحي فاس بقصد الاستغاثة به على المستعمر. فقام بدعوة الناس إلى الجهاد والتعبئة للهجوم على الفرنسيين، فاجتمع له متطوعة القبائل في عدد كبير قاده إلى فاس، حيث حاصر أبوابها ومنع الفرنسيين من الخروج والدخول إليها، ولم يفك الحصار عنها إلا بعد وصول التعزيزات العسكرية التي دعمت القوات الفرنسية، لتنتقل المعارك إلى الأحواز الشمالية للمدينة، تكبدت فيها فرنسا خسائر فادحة قبل أن تعزز صفوفها وتستعمل الآلة العسكرية لحسم الصراع.

توغل بعد ذلك الشريف محمد الحجامي في المناطق الوعرة من الحياينة وبني زروال. وصمد في وجه المستعمر الذي كان يحاول أن يوسع دائرة نفوذه ويضيق المجال على المقاومة فلقّنه الحجامي الدروس لسنوات متوالية، ولم يستسلم له رغم دخول القوات الفرنسية لقريته الجاية وإحراق منزله. فهاجر إلى قرية مجاورة ببني زروال مستمرا في المقاومة ومنسقا جهوده مع المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في مواجهة الفرنسيس، إلى أن تمكن المحتل من إخضاع مجموع قبيلة بني زروال. فانتقل محمد الحجامي إلى كتامة وواجه بها المستعمر الإسباني، وبقي متحصنا بكتامة يقود من هناك المقاومة بعد أن كان محمد بن عبد الكريم الخطابي قد قُبض عليه ليتم بعد ذلك نفيه.

وبذلك يكون محمد الحجامي الرجل الذي كرّس حياته للإشراف على الزاوية في مرحلة أولى، أعطته طاقة روحية إيمانية حركها ضد المستعمر الغاصب لفترة ليست بالقصيرة رفض فيها الانصياع أوالاستسلام مؤمنا بقضيته الوطنية ومجسدا في مقاومته وتحركاته الوحدة والتآزر بين مختلف مناطق البلاد حضرية وبدوية، هضبية وجبلية. معلنا رفضه للتقسيم الذي أراد المستعمر فرضه على المغرب الواحد. كل ذلك دون أن ينسى التزاماته وواجباته تجاه أسرته حيث زرع في صدور وأفئدة أبنائه روح المقاومة والعلم رغم الظروف الاستثنائية التي مر بها.

يعتبر أحمد الحجامي (ت 1424هـ/ 2003م) أحد أبناء المجاهد المقاوم الشيخ محمد السالف الذكر. وقد جمع منذ طفولته بين العلم والمقاومة، حيث كان يتابع مواجهة أبيه للاحتلال في صغره. ثم تلقى مبادئ العلوم وحفظ القرآن ببلده، لكن سرعان ما انخرط في المقاومة تحت إمرة محمد بن عبد الكريم الخطابي حين مواجهة هذا الأخير للإسبان والفرنسيين على حد سواء. وبقي الفقيه أحمد الحجامي صامدا في وجه الاحتلال إلى أن فرض عليه المستعمر بآلته العسكرية الاستسلام. فأقام مع أبيه تحت الإقامة الجبرية بإحدى القرى الجبلية التي تدعى حمدان، ثم هاجر إلى العاصمة العلمية لتلقي المعارف بجامعة القرويين فمكث مدة هناك ورجع لبلده بزاده العلمي والخلقي الذي لقنه لأهل البلد. وهاجر بعد مدة من وفاة والده إلى فاس ليكون قريبا من الحاضرة التي تتيح له إفراغ موهبته العلمية وتنشئة أبنائه في ذاك الجو. لكنه ظل وفيا لبلده، إذ كان شيخا للزاوية الحجامية منذ وفاة أبيه إلى أن وافته المنية، حريصا على الذهاب إليها، وتفقد المريدين وأحوالهم العلمية والدينية. إلى أن أصبح لا يقوى على الذهاب لكبر السن وفقدان البصر، لكنه يبعث من ينوب عنه من أبنائه، متتبعا ما ينجز هناك إلى أن وافته المنية رحمه الله. وأتذكر أني زرته – رحمه الله– في منزله ذات مرة مع مجموعة من الطلبة والمتدربين، فوجدته رغم تقدم سنه ذو ذاكرة قوية يسألنا عمن يقطن بلده أوقريب منه، مما يوضح مدى الارتباط الحميمي مع المنطقة التي ترعرع فيها وقضى فيها فترة مهمة من حياته.

في هذا الوسط إذن نشأ المرحوم عبد اللطيف الحجامي، الذي عرفت أنه ترعرع في جو علمي تتوق إليه الأسرة، وهاجر إلى فرنسا ليستكمل دراساته في الهندسة المعمارية، وبعد تخرجه درَّس في فرنسا قبل عودته لخدمة بلده.

ثانيا : المرحوم عبد اللطيف الحجامي الإنسان :

لقد تشرفت بمعرفة الفقيد خلال اشتغالي بـ "وكالة التخفيض من الكثافة السكانية وإنقاذ مدينة فاس"، إذ كان مديرا عاما لها. حيث قضيت في جواره هناك مدة خمس سنوات، أشهد لله تعالى له بالتفاني في العمل ونكران الذات والأفق الطموح والمعاملة التي تفوح بالإنسانية وغير ذلك من الخصال الحميدة التي حباه الله تعالى بها.

اهتم السيد عبد اللطيف الحجامي اهتماما بالغا بالتراث المعماري لمدينة فاس. وقد وقفت بالوكالة المذكورة على الإرهاصات الأولى لمشروع الإنقاذ في شكل تصاميم ودراسات حول المدينة أنجزها المهندس المعماري المرحوم بمعية مجموعة من المتخصصين بطريقة يدوية في وقت كانت فيه المعالجة الآلية المعلوماتية لم تستوعب بعد مثل تلك الأعمال. وقد أسس السيد الحجامي لمشروع الإنقاذ في الثمانينيات من القرن الماضي، وقتها كان الحديث عن مثل تلك المشاريع يشبه الصيحة في الوادي الخالي يقابَل بالاستغراب والاستهجان أحيانا. لكن المشروع الذي يكون أساسه صلبا وتصوره واضحا يجمع بين الرؤية والقابلية الواقعية لا يكون مآله إلا أن يفرض ذاته في الوسط الذي يستهدفه، وتلك هي ميزات مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي خرج إلى حيز الوجود بعد سنوات من المثابرة والمجاهدة قادها أستاذنا المذكور رحمة الله عليه.

ومن خصائص مشروع إنقاذ فاس الاهتمام بالتراث الإنساني الذي خلفه المغاربة منذ تأسيس تلك المدينة في نهاية القرن الثاني الهجري/ بداية القرن التاسع الميلادي. لقد تبلورت – عبر الفترات التاريخية التي مرت منها مدينة فاس خاصة وبلاد المغرب عامة – حضارة تتجسد فيها الهوية المغربية. ودفاع السيد الحجامي عن هذا المشروع تطلب منه جهدا مضنيا لإقناع المؤسسات الوطنية وفي مقدمتها الإدارات العمومية المعنية والسلطات المحلية، بالموازاة مع تحسيس المؤسسات والهيئات الإقليمية والدولية ذات الصلة بالمشروع، منها منظمة اليونسكو والبنك العالمي وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية والصناديق الإنمائية الإقليمية وغيرها.

وبحق، كانت شخصية المرحوم الحجامي – الحاملة لتصور شمولي للمشروع، ولتكوين علمي رصين، ولعقلية موسوعية، ولانفتاح على الأطراف الفاعلة المختلفة في حقل التراث والآثار العمرانية، مستعينا في ذلك بالحوار والتواصل وإتقان لغات متعددة، مؤهلة بامتياز لإخراج مشروع الإنقاذ إلى الوجود تستعيد بفضله المدينة التاريخية مكانتها واعتبارها . كل ذلك عبَّد السكة لانطلاق مشروع الإنقاذ الذي أصبح مرجعا يحتذى به داخل المغرب وخارجه رغم أنه لم يرْقَ بعد إلى ما كان يطمح إليه مؤسسه.

ومثلما كان الفقيد إنسانيا مع ماضيه، فقد طفحت منه الإنسانية مع حاضره المعيش أيضا. حيث كان –رحمه الله– أقل ما يجود به في وجه من يلتقي به الابتسامة، لِمَ لا والحديث النبوي الشريف يقول: "ابتسامتك في وجه أخيك صدقة". لقد مكَّن مشروع الإنقاذ المذكور من فتح أوراش عمل ميدانية بالنسيج العمراني لمدينة فاس العتيقة، إذ سرعان ما تعددت نقط التدخل من خلال القيام بالدراسات والأبحاث وإنجاز أعمال الإصلاح والترميم التي كانت تتم بالمعالم التاريخية التي يزخر بها مجال المدينة مثل المساجد في مقدمتها الجامع الكبير بفاس الجديد ولاحقا جامعي القرويين والأندلس، والمدارس كما حدث بالمدرسة المصباحية والمدرسة البوعنانية، والفنادق منها فندق النجارين، والدور الفخمة كدار التازي ودار عديل، والأبواب كما كان الشأن بباب الشريعة المعروف بباب المحروق وباب الفتوح، والساحات العامة من قبيل ساحة باب المكينة خارج فاس الجديد، والأسوار الخارجية للمدينة بما فيها سور القصر السلطاني بفاس الجديد، والسقايات والقنوات المائية، وكوشة الجير بباب الجيسة، وغيرها كثير. وقد خدم الخلف السلف في تلك الأوراش، إذ سُخرت الطاقات البشرية من عمال ومعلمين ومهندسين وتقنيين وأثريين ومؤرخين وغيرهم بقصد التنقيب عن المخلفات العمرانية والبحث فيها وتحديد خصائصها وترميمها وإصلاحها بالشكل الذي يحافظ على صورتها قريبة إلى الحقيقة أو هي الحقيقة ذاتها.

وطبيعي أن لا تخلو العقبات من صعاب، حيث واجه الأستاذ عبد اللطيف الحجامي تحديات عدة في السير قدُما بمشروع رد الاعتبار للمدينة، سواء على المستوى الإداري أو المالي. فكان سلوكه الصبر والأناة والعمل الدؤوب الجاد. ولا زلت متذكرا لذاك اليوم الذي اجتمع فيه العاملون بإدارة الوكالة في قاعة الاجتماعات حول مصير ملفاتهم الإدارية والمالية، في وقت كان فيه السيد المدير العام في جولة بالمدينة العتيقة مع مسؤول رفيع من البنك الدولي حول موضوع المشاريع المزمع تمويلها من قبل هذه المؤسسة المالية الدولية، وإذا بالسيد الحجامي يطلع علينا بتلك القاعة مع ذاك المسؤول واضعا إياه في الصورة المالية الصعبة التي كانت تمر منها الوكالة.

غادر السيد عبد اللطيف الحجامي الوكالة في مطلع هذه الألفية التي نعيشها، وغادر هذه الحياة الفانية قبل أشهر من هذا الكلام الذي نقوله الآن. لكن آثاره لا زالت تلقي بظلالها على مدينة فاس التاريخية وعلى المدن الأخرى في المغرب وغيره من الأقطار الإسلامية. ونتمنى من الله عز وجل أن يتقبل منه ما قام به، وأن تكون الأعمال التي أنجزها هي أساس لمشاريع تحفظ للتراث الإنساني كرامته وكيانه إن الله تعالى سميع مجيب.

بحق، كانت شخصية المرحوم الحجامي – الحاملة لتصور شمولي للمشروع، ولتكوين علمي رصين، ولعقلية موسوعية، ولانفتاح على الأطراف الفاعلة المختلفة في حقل التراث والآثار العمرانية، مستعينا في ذلك بالحوار والتواصل وإتقان لغات متعددة، مؤهلة بامتياز لإخراج مشروع الإنقاذ إلى الوجود تستعيد بفضله المدينة التاريخية مكانتها واعتبارها

مقالات مترجمة للمرحوم

وأخيرا مقاربة شاملة من أجل إنقاذ العمارة القديمة وساكنيها(*)

عبد اللطيف الحجامي
الخبير الاستشاري الدولي في الهندسة المعمارية

تقديم مجلة أركيميديا :

كرس عبد اللطيف الحجامي جزءا من حياته المهنية من أجل إنقاذ مدينة فاس، وقد استطاع أن يحقق برنامجاً ضخما من خلال وكالة (ADER-FES) والتي تعدت شهرتها جميع الحدود وهو في هذا المقال يلخص جميع العمليات الناجحة إضافة إلى الآليات المستعملة لهذا الغرض ومدى تأثيرها.

هذا الخبير الاستشاري الدولي يقدم لنا السبل الناجعة للسير فيها من أجل إنقاذ تراثنا الوطني :

المدينة

المدينة، كتراث للعالم الإسلامي والمشرق، تمتلك شيئا من الجاذبية و السحر والألغاز وكأنها كانت هنا منذ الأزل ولا تزال هنا إلى الأبد.

إلى هذا الجانب، فهناك جانب آ خر منطقي وقابل للقياس وعقلاني.

المدينة هي نتاج نُظم حضرية ذات أبعاد تنظيمية وعملية بشكل مضبوط، وهي كذلك كل يتطور في الزمن، وهذا الكل يتم تفكيكه وإعادة تركيبه وفق قراءات مختلفة حول مجالين رئيسيين هما :

الساكن في تعايشه مع نمط الحياة اليومية المطبوعة بأحداث اجتماعية بارزة.

أما المجال الثاني، فهو الفضاء العمراني مع سيرورته المعمارية المتسارعة...

إن التغييرات الاجتماعية والتكنولوجية والسياسية الحديثة خلقت إطاراً جديداً أدى إلى التصادم بين هذين المجالين مما ترتب عنه الدوران في حلقة مفرغة من التدهور فلابد من معالجة هذا الأمر وتطوير دينامية ضرورية وخلق دورة لإعادة الاعتبار والتنمية المستدامة.

هي إذن مسألة شكل ومضمون في آن واحد؛ شكل لم يتم استثماره بما يكفي بطريقة متنوعة لتلبية مستلزمات الاستخدامات الجديدة ضمن إطار جديد مع الحفاظ على قيمته الحقيقة.

أما المضمون فيتكون من آليات اجتماعية واقتصادية ومالية... باختصار نقول حضرية غير معروفة بشكل جيد وغير متحكم فيها لحد الآن.

مقاربة

جميع المقاربات التي عرفها المغرب كانت في الغالب ذات صبغة قطاعية متباينة فكانت النتيجة أنها لم تستطع أن توقف دوامة التدهور التي تعرفها المدن.

إشراقة أمل ولدت مع مؤسسة إنقاذ مدينة فاس التي استطاعت أن تعطي نماذج يُحتدى بها على المستوى العالمي كتجربة ذات قيمة عالية.

وقد أشار جلالة الملك المرحوم الحسن الثاني إلى هذا الموضوع في رسالته الملكية الخالدة حين ذكّر بأن (الإنقاذ الشامل للمدينة هو الذي يهدف إلى تحسين مستوى عيش الساكنة مع ضمان استمرارية إشعاعها الثقافي).

استطاعت مؤسسة إنقاذ مدينة فاس أن تتطور وفق مقاربة شمولية ومندمجة لإعادة التأهيل الحضري، كما استطاعت أن تحيط نفسها بدينامية كبيرة تمكنت من إدماج عدة مؤسسات كمحترف التراث بمدرسة المهندسين المعماريين ENA شهادة Maitrise المتخصصة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس L'IFMB وCIPA من بين مؤسسات أخرى.

إضافة إلى هذا فقد استطاعت من خلال ADER-FES أن تطور استراتيجية لتفعيل برنامج الإنقاذ، وكذلك أن تشارك في تنمية مفهوم المحافظة بتنسيق مع خبراء ICCROM (والذي أدى إلى خلق ITUC) وأخيرا استطاعت أن تساهم في إدماج إعادة الاعتبار للمراكز العتيقة في صلب اهتمام وكالات التنمية ك PNUD وBM.

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن ADER-FES هي أول مؤسسة تمكنت من إنشاء مصلحة للطوارئ من أجل التراث بالمدينة.

مصلحة تشغل إلى حدود ألف عامل وحرفي من أجل الإخبار أو معالجة – حسب الحالات– أمراض البنايات القديمة.

في ذلك الوقت لم يكن موجوداً سوى برنامج آخر موازٍ وكان في بلاد الأراضي المنخفضة. بعد ذلك فقط بلورت اليونسكو برنامج التأهب للطوارئ (RPP).

ADER-FES هي المؤسسة الوحيدة في المغرب التي تتوفر على برنامج للمساعدة على إعادة التأهيل والذي يمنح مساعدة مادية يمكن أن تصل إلى 50٪ من تكلفة إعادة التأهيل كما أنها تقوم بدور محوري في فتح أوراش ترميم المآثر التاريخية أمام القطاع الخاص. فاتحة بذلك سوقا للترميم، يعرف الآن ازدهاراً مستمراً نذكر كذلك أن أطر ADER-FES هم الذين أنشؤوا أول ICOMOS مغربي.

مع الأسف الشديد. فهذه التجربة لم تنجح في وقتها في ترك بصمات أفقيا كما أنها لم تستطع الإقناع في ترك بصمات لا على المستوى الأفقي ولا المستوى العمودي لتعميم التجربة وتطويرها على المستوى الوطني بالوسائل الملائمة والتوليفات الضرورية.

خلاصة

خلاصة الأمر أن المغرب استطاع أو لم يستطع أو عرف كيف يستفيد من تجربة فاس موازاة مع ذلك فعدد كبير من العمليات أو تجارب تطورت على مستوى الوطن بما فيها أشغال CERKAS تصميم الإنقاذ عمليات إعادة التأهيل الحضري بالشاون، تطوان أو الرباط ولكن لم يكن هناك تطور methodologique أو على مستوى أدوات التدخل الملائمة لا على المستوى التشريعي أو القانوني والمالي.

والنتيجة : العمليات الناجحة بقيت في معظمها قطاعية وبدون أثر تدريب.

إذن ما العمل؟

المدينة حاليا تبدو وكأنها ينظر إليها على شكل كليشيهات. لا نلاحظ سوى المظهر، واجهات الأكشاك الغنية بالألوان والروائح Senteurs، الواجهات الداخلية للبنايات الغنية بـDecors المجسم، الأزقة ذات الواجهات العمياء، الأسوار، منازل الضيافة للأحلام exotique البنايات المتدهورة. بعض المآثر التاريخية المرممة هنا وهناك.. الخ.. أمر مؤسف.. المشهد يختلط فيه الرائع بالمأسوف عليه وكأن كل هذا ينتمي إلى أسطورة وليس إلى واقع، وكأننا أمام لوحة بينما يقع وراء هذه الواجهة النسيج الحضري المكثف للمدينة مع عشرات الآلاف من مبانيها من الأكثر تواضعا إلى الأكثر رفاهية، المآت من الآلاف بل الملايين من سكانها، طرقاتها وساحاتها العمومية، وبالأخص سيرورة تدهوره والمنتج لهذه الفضاءات الفقيرة بجانب فضاءات ذات قيمة سياحية وثقافية عالية.

من الواضح أننا نلاحظ في مدننا المخطط التقليدي، المواقع التاريخية، هذا المخطط يتكون من ثلاثة ميادين :

الميدان الأول خاص بملكية التراث والمتضمن للملكية الثقافية وللأنشطة المرتبطة به.

الميدان الثاني، هو ميدان الخدمات المخصصة للزوار وتتضمن الفندقة والمطاعم وتجارة الهدايا.

أما الميدان الثالث فهو خاص بمموني هذه الخدمات كالقائمين على الرحلات السياحية، أرباب النقل، خدمات الاتصال ... الخ. وإذا كان الميدانان الثاني والثالث متطورين نسبيا، فإن الميدان الأول الخاص بالملكية الثقافية، لا يزال في محنة.

فالملكية الثقافية لم يتم استثمارها إلا جزئيا من خلال كل هذه الأنشطة السياحية والعمليات الاستعجالية وترميم المآثر التاريخية أو تلك الخاصة بالمجمع المادي والتي لا تزال في طور الانجاز.

الجزء الأكبر غير مندمج بالكامل ولم يجد بعد طريقه إلى إعادة الاعتبار بطريقة مستدامة.

في الواقع، كل هذه الأنشطة لا تهم سوى حافة ما يكون نواة عملية "إنشاء" المدينة والذي هو أساس متانتها، خاصة السكن وساكنة المدينة.

إن المدينة تتغير باتساع أسرع مما نتصور، ليس فقط من خلال تغيير بناياتها وإنما أيضا من خلال تعاقب أجيالها. فكل جيل له رؤية خاصة به وله سلوكياته وبالتالي فهو يخضع فضاء المدينة وفق معاييره، فالتاريخ يتم تحويله من طرف الرجال وليس من طرف الحجارة.

فمن الضروري أن نضع السكان مع محيطهم -بالمعنى الشامل للكلمة- في قلب مجهودات إعاة التأهيل، ليس كأشخاص متحمسين وغير قابلين للتغيير، ولكن كفاعلين يقومون بتشكيل المدن المتعاقبة.

عن الاهتمام بالمدن، ينبغي التنبؤ بالتعبيرات التي قد تحصل في بنية ساكنيها، وهي تغيرات لا يمكن تجنبها إنما نتحدث إذن عن اهتمام دينامي ضمن إطار دائم التطور.

من وجهة النظر هاته، فإن مشكلة المدينة ظل في الزاوية الميتة لمختلف السياسات الحصرية التي عرفها المغرب ليومنا هذا.

غير واضحة ولكنها موجودة، مجرد إشارات عن طريق بعض الصدمات الصغيرة والتي قد تتطور إلى تصادم كان ينبغي على السلط العمومية -في المقام الأول- أن ترسم معالم الطريق، وهذا ما يتم حاليا من خلال الاستراتيجية الوطنية للتدخل في النسيج العتيق بمبادرة الوزير المنتدب لدى الوزير الأول والمكلف بالسكنى والتعمير.

بصفتي مستشاراً لتنمية هذه الاستراتيجية لا يمكنني إلا أن أحيي بعد النظر الذي تمتاز به اللجنة (اللجنة المنبثقة عن المجلس الوطني للسكنى والتعمير) إنها فعلا لحظة وعي حقيقية متنامية وعملية envergure تتعدى حيز المدن وهي التي تعنيها. هذا إبداع على المستوى الوطني بل حتى على مستوى العالم العربي.

في الواقع، يتعلق الأمر بإدماج الأنسجة القديمة مجتمعة في نظام تموين السكن وإيجاد فرص شغل، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصياتها البنيوية والاجتماعية أو البيئية.

كل هذا في إطار استمرارية تطوير قانون التعمير والذي انكب بصفة خاصة على التعمير التنفيدي، والذي نركز فيه على التجديد وإعادة التأهيل والمواكبة الحصرية مع اقتراح أدوات جديدة.

وهذا ما كان يلزم فعله والذي كان بإمكانه فتح صفحة جديدة من أجل هذه الأنسجة القديمة المحبوبة إلى حد كبير والمنسية إلى حد كبير أيضا.

من الآن فصاعداً فكل الآمال ستصبح مباحة شريطة أن ترى الخطة الوطنية الحالية النور.

لقد آن الوقت للعمل على إدماج عملية إعادة الاعتبار لهذا الكم العقاري الذي يمثل جزءاً مهما من الوعاء العقاري الوطني والذي تتهدده المخاطر هو وساكنيه.

آن الوقت أن يتم إدماج هذه العملية في الدينامية العامة التي يعرفها المغرب اليوم على مستويات أخرى للتنمية.

(*) مجلة اركيميديا (Archimidia)

ترجمة : ذ. عبد القادر لوكيلي

(*)

إعادة الاعتبار للمركز التاريخي الدرعية

عبد اللطيف الحجامي
الخبير الاستشاري الدولي في الهندسة المعمارية

إعادة الاعتبار "الدرعية" قامت على أساس برنامج تنموي سوسيو-اقتصادي يطمح إلى جعلها مدينة حية وقبلة سياحية بالنظر إلى الحالة التي توجد عليها البنايات المتبقية، وإتمام المجال الحضاري المستهدف. فقد تقرر إعادة إنشاء البناية المندثرة عن طريق توسعة الفضاء الحضاري بأحياء جديدة من أجل خلق كتلة سكانية مهمة تمكن من إعادة الحياة كما كانت من قبل.

إعادة الاعتبار وتنمية مدينة الدرعية تأسست على ضرورة الاعتماد على الامكانيات التي تتوفر عليها ومن ثمة العمل والتدخل في الآن، ذلك على المستويات التالية :

- الحضاري : اعتماد الانسان كقطب للتنمية.
- العالمي : العمل على تأهيل الدرعية حتى تصبح تراثا عالميا.
- الوطني : رد الاعتبار لمدينة الدرعية باعتبارها مهدا للدولة السعودية.
- المحلي : تمكينها من الأدوات اللازمة للتنمية وتطوير البنيات التحتية والخدماتية حتى توفر لساكنتها فضاءً أكثر ملاءمة للعيش.

إن فكرة المشروع قد أسست على التنمية الشاملة والتاريخية للمدينة العتيقة حتى تشمل المظاهر المادية والثقافية والاقتصادية والحضارية والبيئية والاجتماعية. كما أسست أيضا على تشجيع الأنشطة القائمة في انسجام مع استراتيجية رد الاعتبار والتأهيل التنموي المنشود وكذلك دعمها من أجل دوام استمراريتها.

لقد تم التفكير فيه بشكل يخدم التنمية التشاركية وتشجيع المبادرات الفردية للساكنة. إطار ملائم لإدماج ومشاركة القطاع الخاص المؤسساتي حتى يصبح معنيا بذلك المشروع.

إن برنامج التأهيل التنموي يتضمن :

- التنمية الحضرية.
- التنمية المجالية والبيئية.
- التنمية الثقافية والمادية.
- التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- تنمية البنيات التحتية.

من أجل بلوغ أهداف هذا البرنامج أصبح لزاما على كل من القطاع الخاص والدولة معا أن يلعبا دوراً محركا لأجل تنفيذ هذا المشروع، لذا وضعت الدولة لهذا الغرض برامج تساعد على تأهيل وتنمية المدينة ليس فقط من خلال تزويدها بالبنيات التحتية العمومية الضرورية كالأرصفة والتجهيزات والخدمات وشبكات الأشغال المختلفة. ولكن أيضا بخلق بنيات إدارية ومؤسسات علمية ثقافية، حرفية للمساعدة على إعادة ترميم وتأهيل البنيات التاريخية.

إن الدولة مطالبة أيضا بخلق الشروط المحفزة للاستثمار الخاص في قطاع السياحة والترفيه والخدمات للحفاظ على الركائز الاقتصادية للمدينة وتمكينها من مواجهة منافسة المقاولات الكبرى.

القطاع الخاص بدوره مطالب بتشجيع الأفراد والمقاولات الصغرى والمتوسطة على اقتراح برامج على المستوى التقني والتنظيمي والمقاولاتي.

المقاولات الكبرى لكبار المنعشين العقاريين والسياحيين مطالبة بدعم وتتميم دور الدولة من أجل لعب دور المحرك عند انطلاق البرنامج...

ترجمة : ذ. عبد الله بويرمان

خاطرة شعرية

من سليمة كارولين (مسلمة غربية)(*) إلى عبد اللطيف الحجامي تقول فيها :

أهدي هذا الشعر لعبدو (عبد اللطيف) ، أرجو أن يعمل على ترجمة مضمونه في تصوره الإبداعي برؤية القرآن على جلده والزهور في خلاياه.

Voici un poème que j'ai composé et que je dédicace à Abdou, pourras tu le lui adresser et l'inviter à le mettre en pratique dans son imagination créatrice en visualisant le coran sur sa peau et les roses dans ses cellules.

"آيات القرآن
تنساب بسرعة
على جسدي المرهف
لتقويته

ومن الشجرة المقدسة
تنزلق الأزهار على شكل لآلئ
في خلايا جسدي
لتغذيها

كذلك تلتحق السماء بالأرض
لكي تضيء ليالي"

سليمة/ كارولين ديسبرس 7 يونيو 2010

"Les versets du Coran
se déversent en courant
sur ma peau frêle et nue
pour l'adoucir.

de l'arbre céleste
les roses glissent en perle
dans mes cellules
pour les nourrir.

puis le ciel rejoint la terre
pour illuminer mes nuits."

Salima/Caroline DESPRES 7 juin 2010

ترجمة : ذ. عبد القادر لوكيلي

(*) ا أسلمت في بيت الفقيه العالم أحمد الحجامي والد المرحوم.

دار أو رياض

عبد اللطيف الحجامي

النسيج الحضري التقليدي - خلافا لما يبدو عليه- هو نسيج ملموس وواضح وهو أبعد مما يمكن أن يشكل متاهة صعبة الولوج. إن الأمر يتعلق بنسيج مكتوب بلغة خاصة يتعين فقط تعلمها هي لغة لا تتطابق مع معايير الهندسة المعمارية والتمدن الحديث المتعارف عليها. فهناك مصطلحات وتراكيب أو بالأحرى خطاب خاص بهذا النوع من الأنسجة.

نتيجة لتراكم تاريخي، فإن مكونات الأنسجة الحضرية التقليدية تعكس البنية الاجتماعية مع تاريخها وتطورها.

فهكذا نجد داخل الأنسجة التاريخية التقليدية نسيجا سكنيا مكونا من وحدات سكنية مجتمعة ومبنية عموما حول ما يعرف **بالدار الكبيرة**. وأيضا **الدوير** (عبارة عن مجموعة دور) مستقلة. هذا إضافة إلى التجهيزات **كالمساجد والفنادق ودور النسيج والحوانيت والحمامات**... الخ. بطريقة مبسطة بل ومختصرة، فنظرا لاختلاف البنيات على مستوى الأراضي الوطنية، يمكن أن نقول أن التجمع السكاني مكون بصفة عامة من **دار كبيرة**، **ورياض ودويرة**، ومن **مصرية واحدة** أو **مصريات**، **ومنزه ومرافق** : **ساحة ورواق وسقلابية** من بين مرافق أخرى.

التصميم الأصلي لكل وحدة فضائية -كيفما كان حجمها- مكون من فضاء إضافة إلى أماكن ذات صلة متواجهة فيما بينها. **الدار الكبيرة** مكونة من بهو مفتوح على السماء وحوله تنتظم مختلف الغرف (بساط أو قُبة) على مستوى واحد أو مستويين، **البهو** يمكن أن يتضمن أعمدة تحمل أقواساً أو سواكف أو شرفات بسيطة على طول الواجهة. **المنزل** يوجد عامة بشرفة الدار الكبيرة، الرياض مكون - بطريقة ما- من نصف الدار الكبيرة فيما يضم النصف الآخر حديقة، وهو مبني على مستوى أو مستويين، ويضم بالأساس قاعة بقبة أو بدونها إضافة إلى مرافق على كلتا الجناحين مواجهة للحديقة. **الدويرة** هي صورة للدار لكبيرة ولكن بمساحة أصغر، **المصريات** هي وحدات صغيرة على طراز الدويرة، مبنية على الطابق على مستوى واحد.....

● مجلة : ARCHIMEDIA

ترجمة : ذ. عبد القادر لوكيلي

فقيد الهندسة

د. محمد الروكي

مرثية مهداة إلى روح الفقيد المهندس عبد اللطيف الحجامي رحمه الله

نعي الموت قد طرق السماعا ... وجلجلها يبلغنا الوداعا
من الرجل المحنك قد تدانت ... له الآفاق تتسع اتساعا
من الرجل المبارك قد تدلى ... إليه الخير فارتفع ارتفاعا
من الأستاذ قد خبر الزوايا ... ومهدها لمن يأتي تباعا
أحب الصمت في طلب المعالي ... وأسس من عزيمته القلاعا
فيا عبد اللطيف لقد فجعنا ... بموتك إذ مددت له ذراعا
وأسلمت الأمانة في أمان ... لجند الله تصعدها سراعا
إلى الرحمان قد سقت المطايا ... ولا ترجو من الدنيا متاعا
ألا يا ابن الفقيه رحلت عنا ... إلى الفردوس تندفع اندفاعا
ألا يا ابن الأماجد غبت عنا ... وآثرت الممات وقد أطاعا
ولكن إن تغب عنا فإنا ... نرى فيما تركت لنا انقشاعا
فطب نفسا فأنت على بساط ... مع الأبرار تجتمع اجتماعا
ويا أهل الفقيد لكم عزائي ... من الأعماق يلتهب اليراعا

جاءك المدد

المعماري د. زاهر عثمان

المدير العام السابق لمؤسسة التراث - الرياض

أصغيتُ حتَّى طَواني الصامتُ الكَمَدُ ... قَرأتُ حتَّى اعتراني الحارِقُ الرَّمَدُ
كَتَبْتُ حتَّى مضى مُسْتَسْلماً قَلمي ... نَطَقْتُ لكِن بِبوح الصَّمْت يتَّقِدُ
أُدْني الليالي التي ولَّت فَتُنْكِرُني ... وأستَعيدُ خُطى يَومي.. فَتبتَعدُ
وأَسْتَظِلُّ بآمالٍ.. تقولُ غداً ... فَيُنبيءُ الرَّجْع في نَوحينِ: ضلَّ غَدُ
يا أيُّها المُتبقِّي في دَمي وفَمي ... أخَاً إليه بأحْمالِ الرُّؤى أفِدُ
فَأستريح إليه ملجأً عَبقاً ... وأسْتنيرُ بِما يُلقي وما يَعِدُ
وأستعيدُ بِصفوٍ مِنهُ ما شَجَبتْ ... مِنِّي العَذاباتُ لا تُبْقي ولا تَئِدُ
تَحنو على كلِّ من يدنو ومُبتسماً ... تَأسى على كُلِّ من آذى فيتَّئِدُ
بُرِّئت مَن سطوةِ الدُّنيا وزُخرفها ... فَطابت الرُّوح واستهدى بها الجَسدُ
ماذا تَبقَّى مِن الدَّهر الذي غَرَراً ... سِرْنا إليْهِ وومضُ الحلمِ يَنْعَقِدُ
ها نحنُ عِند هَجيع العُمر مُفْتَرَقاً ... كَأنَّ لا شَيءَ أدركَنا و لا أحدُ
عادتْ صنوفُ المنى مِن غَيرنا ومَضتْ ... عنَّا عليْنا.. ولمْ نَدْرِ الأسى رَصَدُ
أَتيتُ أَحمِلُ إيماني ومَعذرتي ... أنِّي بِظلٍّ يقينٍ مِنك أبْتَرِدُ
تَدْنو إلى الله في شَوْقٍ وفي ثقةٍ ... وتَسْتريحُ إلى عَفوٍ به يَعدُ
وواثقاً أنه يحنو بِعافيةٍ ... تَنْسى بها كلَّ ما تَخْشى وما تَجِد
فارفَعْ إليهِ يداً لمْ تألُ موقنةً ... وافتح رحابَك.. ها قد جاءكَ المَدَدُ

منقذ فاس

زينب الحجامي
شقيقة المرحوم

سلام سلامٌ، بالحضور أرحِّبُ، ... أنَرْتُمْ فؤادي بعدَ غمٍّ يُرَعِّبُ
فلولا علينا طلعة البدرِ أيْنعَتْ، ... لما بات عشق في القلوب يُشهِّبُ
بفقدانِ أمي بتُّ للقلب أكْظِمُ، ... وبات عليه الدمع هطلا يُسَرّبُ
كذا بان عندي بدرُ سعدٍ أصابني ... ضياؤه في قلبي وقلبي مُثقّبُ
إذا ما رآني بالعناق يهرول، ... وبالحضن يكسوني، وبالشوق يطرب
يُذيب فؤادي بالحنان فأصفحُ، ... ويأخذ هوْلي بالتي هي أنسبُ
كأني أراه اليوم والشهر قد مضى ... حنونٌ، ولكن في الشدائد مُصعَبُ
هوالأخ والأحباب، بالوصل يرحمُ، ... صبور، ودود، بالمروّة يصحَبُ
دروبَه بالإخلاص والعزم يسلكُ، ... حياءٌ، عفافٌ، كل ذا منه يسكبُ
إلى قلبه لم يعرف الحقد مدخلاً، ... وما كان بالإحساس يلهو ويكذبُ
وغِشّاً تحاشى، تلك دنيا تغرنا، ... عن الزور ينأى، بالنزاهة يضربُ
عطاءٌ بلا مَنٍّ، وعفوٌ بحكمةٍ، ... ووصل حميد، كالثرا فيه يرغبُ
وعيش بذوق، للحياة عبيرها ... نقاءٌ، صفاءٌ، في مساره يطلبُ

ببعد الرؤى والصبر دوما يخططُ، ... برأي سديد، بالذكاء يصوّبُ
عديم التشكي، بالبشاشة ينعم، ... وحتى العدى، بالمَزْح يرمي، فتعجبُ
هو بن العلا والعز عبد اللطيف بـ ... ـالتواضع والحلم، الأحبة يسلُبُ
عريق الأصول،بنُ المجاهد أحمدٍ، ... كذا في الحروب الجَدُّ، بالسيف يغلبُ
كأنْ حُررتْ فاسُ العتيقة لابنهمْ، ... لينقذ فاساً، قد تسِنّ فتخرُبُ
كأنْ فاسُ للعبد اللطيف أمانةٌ، ... فترميمها بالكد سن أمغربُ
يُعزّكِ يا فاسٌ بشكل مميزٍ، ... فعلم ودين، فيه روحك تخصِبُ
لرُوحِكِ عشيق ولو عنك غائب، ... إلى قلبه أنت الأعز وأقربُ
فقال:أأختي فيه داء أصابني ... كبير، وربي أكبرٌ لا يخيِّبُ
وداءي سأخفي عن حسين وهاجرٍ، ... إلهي سيشفيني فأبقى الرقيبُ
أأختاه لا تبكي عليّ بأدمع ... فؤادي حزين، قد أعافى أزينبُ
ببأس شديد، بالدواء يقاوم، ... لدائه لم يضعف، أنا أتعجّبُ
وحمدا كثيرا للإله يردد، ... ويدعو،عسى ربي لدائِيَ يُذهبُ
ومرت ليال لم تر العين غفوةً، ... وظل نهاري يستطيل ويصعُب
وحين رآني قربه الصبحَ،قال لي ... بوجه بشوش: مرحبا بك زينبُ
أزنّوبَ آلامي بدتْ في تزايدُ، ... فإن شئت روحي، فالبقاء سيصعبُ
وإني على حبي لفاس لعاكفٌ، ... لأُرضي فؤادا، للشفاعة يرقبُ
فأبصرت في عينيه سعدا مُميّزاً، ... فقال: أزنّوبا، بِعادي ليقربُ
كأني وربي حين أنهى حديثه ... كمن يحتويه السحر، والسحر مِخلَبُ
فَرحت وقلبي دون قربه تائه، ... ووجهي، إذا لم يُشف، يبلى ويشحب
فزعت وكيف العود ربي وما يُرى ... هناك حبيب، بل نذير وموْجبُ
أيا فاسُ انْعه لإدريسَ جدِّهِ، ... حبيب إلى الرحمان راح، يُحببُ
لقد راح راضى بالقضا، لن ألومه ... سأهديه قرآنا، وشعرا سأكتبُ

شهادة في حق مجاهد من نوع خاص

ذ. محمد بن الحبيب الدكالي
مدير المشاريع والتعاون الدولي -قطر الخيرية

عرفت الأستاذ سيدي عبد اللطيف الحجامي منذ أواخر السبعينيات، ثم توطدت المحبة وترسخت عندما كنت أتابع دراستي العليا في المعهد الوطني للتهيئة والتعمير في النصف الأول من الثمانينيات، وبقيت كذلك إلى أن انتقل للرفيق الأعلى رحمه الله رحمة واسعة.. أمّا وقد رحل، فلا خوف من الوقوع في محاذير قطع الرقاب، بل وجبت الشهادة المثلى لله سبحانه، بما أدركناه وعلمناه ورأيناه ولمسناه في عالم الشهادة عن هذا الرجل الفذّ..

خلق سامق

لعل أكثر ما يجذب في شخصية سيدي عبد اللطيف الحجامي، تولاّه الله في الصالحين، هوجمال مكارم الأخلاق عنده.. كل من عرفه، لا بدّ وأن ينجذب إليه بمحاسن خلقه الرائع، إلى الحد الذي يعتقد فيه كل من عرفه عن قرب، أنه صاحب مكانة رفيعة لديه رحمه الله، أوعلى الأقل يشعر أنه من الثلة والصفوة القليلة المحدودة ذات الحظوة لديه : فمن مناقبه الأخلاقية العليّة، خفض الجناح بصدق وعفوية.. ما أجمل وما أرقّ روحه المؤنسة المستأنسة،بسّاما كان كلما لقيك، بسرعة يمسح عنك، بوجهه الصبوح وقلبه النصوح، أكدارا وهموما تسكنك.. كان يتقن رفع المعنويات وفي المواقف الصعبة بالذات، وهذا فنّ قليلون جدا من يتقنونه.. أما النصائح الثمينة، فبأي أدب؟ وبأي عقل؟ وبأية قدرة على الإقناع كان يهديكها؟..

أما إن سألت عن برّه بوالديه، فهو الأنموذج رحمه الله : قبل صلاة الفجر، وفي أوقات الصلوات كلما كان في البيت، كان يهيئ لوالده الضرير، العالم الجليل الربّاني، سليل الأسرة العريقة في العلم والجهاد والتربية، وقد تجاوز التسعين من عمره، أمر وضوءه، ويأخذ بيده إلى المسجد ويعود به منه.. يجب أن يرى الرائي طريقة إخباته مع أبيه : أدب جمّ، تلقائي، جدّ جميل..

وأما إن سألت عن روح الخدمة لديه، فهو لم يكن من النوع الذي يقول لك : آسف.. هذا ليس باستطاعتي.. سيبذل غاية وسعه ليخدمك. **كان رحمه الله خدوما بتواضع، كريما سخيا،إذ لم تكن الدنيا تعني له شيئا، ورغم كونه كان يعمل في مجالات ذات مسؤوليات كبيرة، والتي يغتني عادة منها وفيها آخرون بغير الحلال،لكنه كان مثالا للتعفف، مستعليا بشموخ على الانتهازية والوصولية.**

علم شامخ

كان مؤسس مدرسة حقيقية في مجالات تخصصه : ليسوا كثيرين أولئك الذين يعرفون -ربما باستثناء طلبته وبعض من أهل الخبرة- أنه عمل لتأسيس وبناء مشروع علمي تجديدي أصيل في علوم العمران أربعة عقود تقريبا، وهذا مشروع يجب ألا يهمل.. فقد خرّج جيلا كاملا من المهندسين العمرانيين من ذوي الكفاءة العالية، زوّدهم برؤية علمية راسخة متميزة بمضامين معرفية ثمينة وغير مسبوقة، فضلا عن بناء سجايا أخلاقية وتربوية في سلوكياتهم، فكان جيلا فريدا من الكفايات التي عمّ نفعها في بلدنا العزيز.. ولعل من أجمل شمائله الأخلاقية العلمية، ذلك السخاء النادر مع طلبته، إذ لم يكن يحسب للوقت حسابا عندما يتعلق الأمر بزكاة العلم والمعرفة والخبرة، فكان يعطيهم، كما يعطي غيرهم، أحسن ما عنده، بروح متحفّزة وثّابة دائما نحو الأفضل والأعمق والأحكم..رضي الله عنه.. وإذا كان قد ظلم من بني وطنه، بل حورب وحوصر ومكر الماكرون ضده، كرها في اتجاهه الفكري والعلمي، لكنه على الصعيد الدولي، كان اسما لمّاعا في المحافل العلمية الدولية في مجالات تخصصه، بل شهدت له كفاي

ات علمية راقية جدا في أمريكا وأوروبا بتميّزه في علوم العمران.. لقد كان رائدا تاريخيا في ردّ الاعتبار ببراعة وجدارة منقطعة النظير لفقه وفلسفة العمران، وفقا لأصولها في الوحي والتجربة الحضارية الإسلامية اللاحبة.

جهاد بالغ

لا أذكر أنني عرفت في حياتي رجلا يفكر ويعمل ويتحرك ويسهر ويتواصل، لخدمة بلده وأمته ودينه، مثل سيدي عبد اللطيف الحجامي عليه رضوان الله تعالى. كيف كان يكتفي من النوم بثلاث أو أربع ساعات في اليوم والليلة ثم يشتغل لعشرين ساعة متواصلة وهو يسابق المواعيد والمحاضرات والاجتماعات والمؤتمرات وورش العمل ومتابعة البحوث..؟ لا أعرف، لكن ﴿ذلك فضل الله يوتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم﴾.

كانت روحه الرسالية من نوع نادر فعلا،فقد تشرّب عقله، كما تشربت نفسه، بشكل عميق جدا، إحساسا حادّا بالمسؤولية تجاه بلده وأمته وملّته.. فكان جهاده، ومجاهداته لخدمة الوطن والأمة والدين، قويا ومتواصلا ومشحونا بروح معنوية صلبة لا تهين ولا تتراجع مهما كانت التحديات والعوائق، ورغم أنه كان يجرح أحيانا من أعدائه الفكريين، بتجريحات قاسية مؤلمة، لكنني لم أره يوما في حالة انكسار، بل كان "يقلبها" إلى جذل مرح، مهتما برفع معنويات إخوانه وطلبته وأحبابه أكثر من اهتمامه بتضميد جراحاته.. أية نفس أبية كانت بين جوانحه؟!

إذا كان قد ظلم من بني وطنه، بل حورب وحوصر ومكر الماكرون ضده، كرها في اتجاهه الفكري والعلمي، لكنه على الصعيد الدولي، كان اسما لمّاعا في المحافل العلمية الدولية في مجالات تخصصه، بل شهد له خبراء ذوو كفاءات علمية راقية جدا في أمريكا وأوروبا بفضل هذا التميز في علوم العمران.. لقد كان رائدا تاريخيا في ردّ الاعتبار ببراعة وجدارة منقطعة النظير لفقه وفلسفة العمران، وفقا لأصولها في الوحي والتجربة الحضارية الإسلامية اللاحبة.

مناشدة

يا تلامذة سيدي عبد اللطيف الحجامي.. يا من كان له فضل من الرجل عليه في مقامات العلم والمعرفة والخبرة.. لقد أعطاكم هذا الرجل الفذ عصارة عقله ومهجته، فنفع الله به وبكم.. أنتم تعلمون أن الرجل أسس لمدرسة معاصرة في واحدة من أخطر مجالات البناء الحضاري، وقد رأيتم أسسها وبنيانها وما احتوت عليه من آيات العلم والفكر، العميقة في رؤيتها، البالغة في حجتها، بغوصها في المعاني العقدية والقيمية العليا.. ورأيتم ما اكتنف أفكاره واجتهاداته من قيم مضافة عالية القيمة.. لقد بنى الرجل مدرسته،مع تلامذته ومريديه، وأنفاسه وزفراته، تلهج إلى الله القدير بالإنابة إلى كلماته وآياته وتوجيهات نبيّه عليه الصلاة والسلام وناهلا من معين الرصيد والممارسة الحضارية للأمة، فقها وتجارب غنية، من المغرب والأندلس حتى آسيا الوسطى..

ووفاء للرجل، وحفاظا على تراثه العلمي، ومواصلة من تلاميذه لمشروعه العلمي الراقي، ووفاء لذكراه، بل قبل هذا وذاك امتثالا لتوجيهات سيدنا رسول الله ﷺ، بالحفاظ على العلم الذي ينتفع به وتنميته، هلمّوا لتأسيس "مركز عبد اللطيف الحجامي لعلوم العمران" أو شيء من هذا القبيل، يجمع فيه تراث الرجل المتفرق وينشر، ويستأنف تلامذته على أساساته مشروع أستاذهم ترسيخا وتطويرا، ويساهموا به في بناء مستقبل بلدنا العزيز والأمة وعامة الناس رحمة لهم..

سنشهد للرجل بكل ما علمناه آنفا أمام الله تعالى يوم العرض عليه..

رحمك الله رحمة واسعة يا سيدي عبد اللطيف ..

● تلميذك وأخوك،
محمد بن الحبيب الدكالي
الدوحة في 9 صفر 1432
(2011/1/13)

كلمة د. منير بوشناقي

المدير العام للمركز الدولي للمحافظة وترميم المعالم التاريخية

غادرنا الأستاذ والمهندس المعماري الكبير عبد اللطيف الحجامي الرائد في مجال الحفاظ وإعادة تأهيل المناطق الأثرية في المغرب يوم 14 دجنبر من سنة 2011 بعد صراع طويل مع المرض.

ولد عبد اللطيف الحجامي في المغرب واشتهر بعمله من أجل إعادة تأهيل مدينة فاس -المركز التاريخي والروحي والثقافي بالمغرب- إضافة إلى مناطق أثرية أخرى مصنفة ضمن التراث العالمي من قبل منظمة اليونيسكو عام 1981.

وباعتباره المدير العام لوكالة التخفيف من الكثافة السكانية وإعادة تأهيل مدينة فاس (ADER-FES) فقد قاد فريقا كبيراً ومتخصصا في إطار مشروع طموح يهدف إلى إعادة إحياء المدينة.

فسرعان ما أصبح هذا المشروع نموذجا يُحتذى به في هذا المجال بفضل المجهود الذي بذل فيه من أجل اشتراك جميع المهتمين وأصحاب القرار طيلة أشغال الترميم.

فقد كانت عملية إدماج التنمية الحضارية مع حاجيات السكان الاقتصادية في قلب استراتيجيته.

وقد كان متأكداً أن عملية ترميم المدينة القديمة يخدم أشياء أخرى غير الهدف الوحيد والذي هو التنمية السياحية.

عبد اللطيف الحجامي سوف يبقى حيا في ذاكرتنا لكل ما بذله من صبر وتفان لخدمة مسقط رأسه ولخدمة مشروعه وخدمة السكان المحليّين.

إن المدير العام لفريق ICCROM ليتقدم بأصدق التعازي لأسرته ولأصدقائه وزملائه داخل المغرب وخارجه.

الدكتور منير بوشناقي

Abdellatif El Hajjami, enseignant et architecte renommé, pionniere en matière de conservation et de réhabilitation urbaine au Maroc, nous a quitté le 14 décembre 2010 suite à une longue maladie.

Né au Maroc, M. Abdellatif El Hajjami s'est rendu célèbre par son travail sur la réhabilitation de la médina de Fès, centre historique spirituel et culturel du Maroc, et site classé au patrimoine mondial de l'UNESCO en 1981.

En tant qu'ancien Directeur général de l'Agence pour la Dé-densification et la Réhabilitation de la Médina de Fès (ADER-FES), il a été amené à diriger une importante équipe dans le cadre d'un projet ambitieux destiné à faire revivre la médina. Le projet est vite devenu un modèle du genre, grâce aux efforts qui ont été réalisés afin d'inclure tous les acteurs concernés aux prises de décision et à les engager ainsi dans l'ensemble du processus de restauration.

L'incorporation d'aménagements contemporains et les besoins économiques des habitants ont été au coeur de sa stratégie; il s'est assuré que la restauration de la vieille ville servirait à bien autre chose qu'aux seuls besoins du développement touristique.

Abdellatif El Hajjami restera dans toutes les mémoires pour la passion et le dévouement qu'il a consacré à sa ville natale, à son travail et à la population locale. Le Directeur général et l'équipe de l'ICCROM expriment leurs sincères condoléances à sa famille, ses amis, ainsi qu'à ses collègues du Maroc et de l'étranger.

Mounir Bouchenaki
Directeur Général de l'ICCROM-Rome